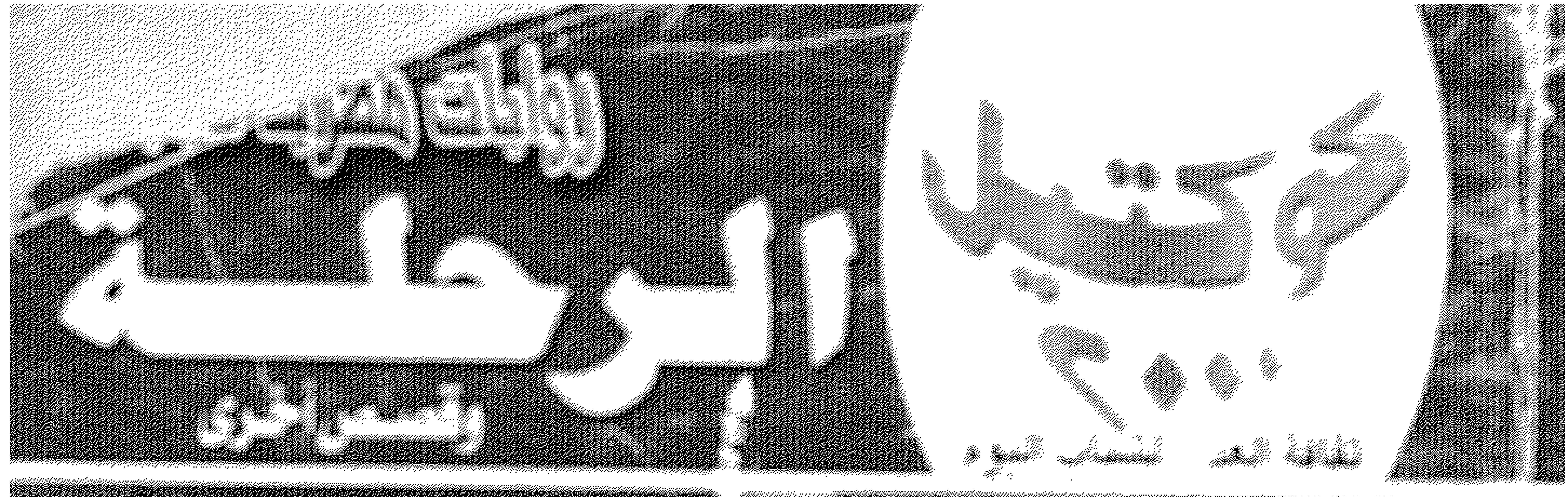
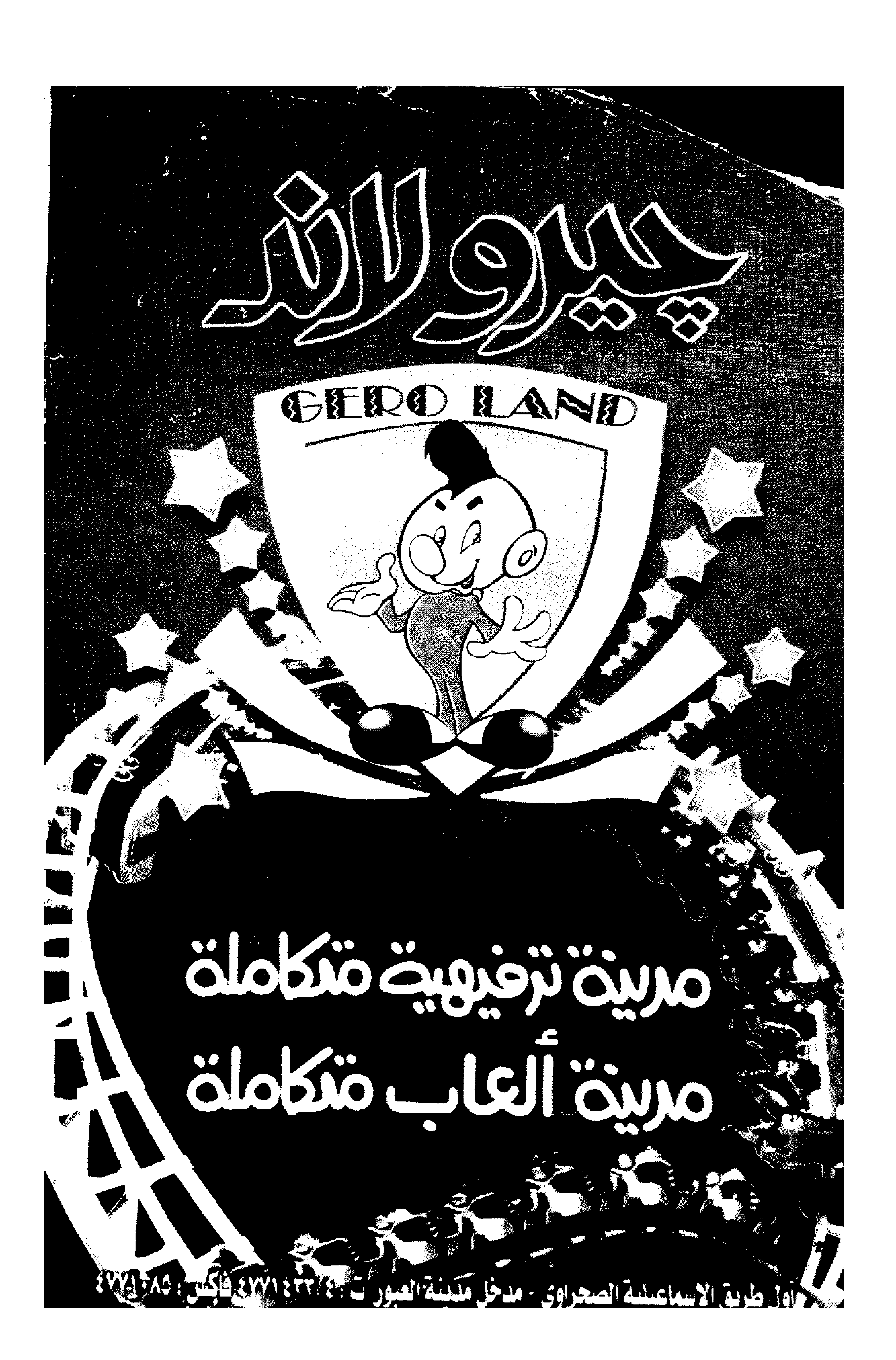


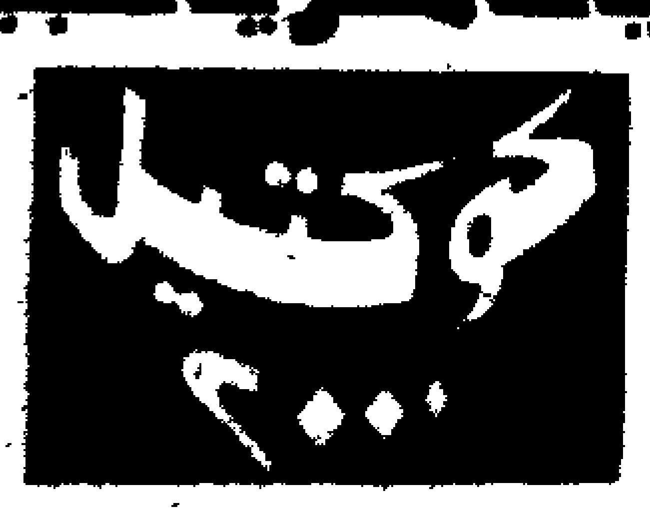
37

نبيل فاروق


چيرو لاند
GERO LAND
مدينة ترفيهية متكاملة
مدينة ألعاب متكاملة
أول طريق الاسماعلية الصحراوى - مدخل مدينة العبور

37

روايات مصرية للجيب



ثقافة الغد .. لشباب اليوم

إهـــــداء 2005

الأستاذ / طارق احمد محمد محمود خضر
البحيرة

روايات مصرية للجيب



ثقافة الغد .. لشباب اليوم

●

باقة من القصص والروايات المصرية قمة فى التشويق والإثارة

●

ريشـة

الأسـتاذ / إسماعيـل ديـاب

●

إشـراف

الأسـتاذ / حـمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ١٠٠٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ٩٠ ، ١٩ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ٦٨٢٢٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع
٤ شارع بدوى / محرم بك ـ الإسكندرية .

كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

37

الرحلة

وقصص أخرى

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠ • كوكتيل ٢٠٠٠

****

- مع بدء العد التنازلى ، نحو القرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

****



المحتلـون ..

(قصة قصيرة)

« العاصمة سقطت .. » ..

نطق ذلك الجالس على المقهى الصغير ، فى قلب (القاهرة) العبارة ، بكل أسى وإحباط الدنيا ، وهو يتابع فى انبهار ، امتزج بالكثير من المرارة والحسرة ، تلك المشاهد الرهيبة ، التى تنقل وقائع استيلاء المحتلين ، على عاصمة دولة عربية عريقة ، كانت يومًا ما قبلة الشرق ، ومنارة العلم والفن ..

وعلى الرغم من أنه يتابع الأحداث نفسها ، فى المقهى ذاته ، إلا أن عبارة الرجل ولدت فى أعماقه ألمًا مزعجًا ، لم يشعر بمثله أبدًا ، حتى عندما احتلت (إسرائيل) صحراء (سيناء) بأكملها ، فى عام ١٩٦٧م ..

« هذا إيذان بسقوط العرب جميعًا .. » ..

عبارة أخرى ، نطقها زبون آخر ، من زبائن المقهى ، وأصـابت قلبه هو فى الصميم ، وكأنها طعنة حادة ، من خنجر مسموم ..

أى قول هذا بالضبط ؟!

ما الذى يتصوّره القائل ؟!

هل يفترض أن سقوط عاصمة عربيـة ، قد يعنـى سـقوط كيـان عربى بأكمله ؟!

مستحيل !

مستحيل ، وألف مستحيل !

صحيـح أن أولئـك المحتليـن يتفوقـون ، فـى أسـلحتهم وتكنولوجيتهم ، ولكـن الأحـداث أثبتـت أنهـم لا يتفوقـون برجـالهم أو مبادئهم ..

والتاريخ علمنا أن القوة وحدها لا تكفى ..

التتار والمغول امتلكوا القوة ..

الإمبراطورية الرومانية كانت لها جيوش لا تُقهر ..

الفرس سيطروا يومًا على نصف العالم ..

(نابليون بونابرت) بهر (مصر) يومًا بمدافعه ..

السوفيت كانوا يومًا إحدى قوتين عظميين ..

ولكن كل هذا انهار ..

كل هذا سقط ..

وانمحى ..

واندثر ..

حتى نحن ، خسرنا واندحرنا ، عندما تخلينا عن قيمنا ومبادئنا ..

خسرنا (الأندلس) ، والحضارة ..

والقوة ..

« مادامت تلك العاصمة قد سقطت ، فلن تقوم لنا قائمة بعد الآن .. »

خنقته العبارة ، التي ألقاها زبون ثالث ، في يأس غاضب ، فهبّ من مقعده ، ودفع حساب مشروباته في توتر ..

وغادر المقهى كله ..

وبكل مرارة الدنيا ، راح يقطع شوارع (القاهرة) ، في طريقه إلى الكورنيش ..

كورنيش النيل ..

ومع الأمتار التي قطعها ، بدا له وكأن (القاهرة) ، بل (مصر) كلها ، قد تحولت إلى مقهى واحد كبير ..

الكل يتابع سقوط تلك العاصمة العربية ..

الكل يتحدَّث عن خيانة ما ، أو صفقة ما ..

والجميع يعانون المشاعر نفسها ..

الغضب ، والثورة ، والمرارة ، واليأس ، والحسرة ، والإحبـاط ، وروح الانهزام ، فى أعمق الأعماق ..

وهو واحد من الجميع ..

وفى أعماقه تشتعل كل تلك المشاعر المؤلمة ..

وفى تلك اللحظات ، وهو يعبر آخر طريق يفصله عن الكورنيـش ، شعر وكأنه فجأة لم يعد يحتمل كل ما حوله ..

لم يعد يحتمل الزحام ، والفوضى ، وأبواق السيارات ، والسباب المنفلت مـن بيـن شـفاه عديـدة ، لا تجـد مـا تعبِّر عمـا تجيش بـه صدورها ، سوى هذا ..

وبكـل توتـره وانفعالـه ، جـرى عـبر الشـارع ، وسـط أفـواج السيارات ، التى لا تتوقَّف أبدًا ..

وطاردته صيحات غاضبة ، وسبابات عصبية ، وصرخات منفلتة ..

ولكنه لم يبال ..

كان كل هدفه أن يبلغ النيل ..

وبأى ثمن ..

ومـا إن أمسكت أصابعه سور الكورنيش ، حتى التقط نفسًا عميقًا ، وكأنما يحاول أن يؤكِّد لنفسه أنه قد وصل إلى هدفه ..

إلى النيل ..

كان يتمنى لو أن هذا النفس العميق قد حمل رائحة النيل ، والطبيعة ، والعزة ، والكرامة ، والتاريخ ..

ولكن الرائحة كانت تختلف للأسف ..

كانت تحمل الإهمال ، والفساد ، والفوضى ..

حتى النيل لم يسلم من استهتارنا بتاريخنا وثرواتنا .

حتى النيل ..

« تُرى من التالى ؟! » ..

سؤال ألقاه بائع حمص الشام ، على أحد زبائنه ، لمجرَّد أنه زبون أنيق الملبس ، توحى ملامحه بالثقافة ، وبمعرفة كل الأجوبة ..

وبلغ السؤال مسامعه هو ..

وتسلَّل إلى أعماقه ..

إلى عقله ..

إلى وجدانه كله ..

وقبل أن يعثر على جواب شاف ، كان الزبون الأنيق يجيب فى ثقة ، أن التالى هو الدولة العربية المجاورة ، وبعدها كل الدول العربية ، على نحو أو آخر ..

وعاد الغضب يتصاعد فى أعماقه ، وهو يبتعد بسرعة عن المكان كله ، حتى لا يسمع تعليق بائع حمص الشام ، أو باقى الزبائن ..

ربما كانوا على حق فى تصوراتهم ..

ولكنه لا يريد أن يسمع ..

يريد فقط أن يتشبَّث بسور الكورنيش ، وكأنه يتشبَّث بالنيل نفسه ، معلنًا أنه لن يتخلَّى عنه أبدًا ، حتى لو دارت الدائرة ، وجاء المحتلون من أجله ..

لو حدث هذا سيقاتلهم ، حتى آخر نفس ..

حتى آخر قطرة دم فى جسده ..

وآخر قطرة ماء فى نهر النيل ..

وفى أعماقه ، تضاعف شعور الغضب أكثر وأكثر ..

كم يكره المحتلين !!

كم يكره كل من يسعى لتدمير عروبته ، ووطنه ، وعقيدته !!

وكم يكره أكثر وأكثر روح اليأس ، التى ملأت كل القلوب والأفئدة ، مع سقوط تلك العاصمة العربية العريقة ..

ولكن الأخبار نفسها تقول : إن الدولة كلها لم تسقط بعد ..

مازالت هناك مقاومة ..

وهو يدرك جيِّدًا أن تلك المقاومة لن تنتهى أبدًا ..

ستبقى ما بقى المحتل ..

التاريخ علمنا هذا ..

علمنا أن صلابة الشعوب ومقاومتها تتضاعف ، كلما بقى المحتل أكثر ..

وأن المقاومة للمحتلين لا تموت أبدًا ..

سلوا شعب (فلسطين) ، وسيثبت لكم أن هذا صحيح ..

المهم أن تظل الهزيمة خارج أجسادنا ..

المهم أن يحتلنا العدو ، ولكنه يعجز عن احتلال إرادتنا ، وعقيدتنا ، وروح المقاومة والقتال فى أعماقنا ..

نعم .. هذا هو الاحتلال ، الذى لا ينبغى أن نسمح له بالانتصار علينا أبدًا ..

وفى تلك اللحظة ، ومع هذه الفكرة ، التى تسلَّلت من عقله ، إلى كيانه كله ، وجد هامته ترتفع ، وشعر بالحماسة والفورة يسريان فى عروقه ، فشدَّ قامته ، وتطلَّع إلى النيل أمامه بنظرة جديدة ..

لا .. لن تنـهزم إرادته أبدًا ..

سيقاتل ..

سيقاتل روح اليأس والـهزيمـة والإحباط ..

سيقاوم الفساد والاستـهتار والفوضى من حوله ..

سيقاوم كل سمة سيئة تحتل مشاعره ، وتفسد طريق تقدّمه ..

بهذا فقط ، يمكنه أن يتصدّى للمحتلين ..

كل المحتلين ..

ولم تكد تلك العقيدة تستقر فـى أعماقـه ، حتـى عـاد النيـل يبـدو جميلاً شامخًا ، وكأنما يحمل معه عبق التاريخ ..

وأمل المستقبل ..

كله .

★ ★ ★

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

مذكرات طبيب

فى صعيد مصر الجوّانى

(الحلقة العاشرة)



مقدّمة

هذه الخواطر هى سيرة ذاتية ..

وعمل أدبى ..

جزء من هذا ، وشىء من ذاك ..

إنها ذكريات لفترة من فترات حياتى ، ربما كان لها الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فيما أصبحت عليه الآن ..

فقد بدأت تلك الفترة طبيبًا عاديًّا ، من مئات الأطباء ، الذين حصلوا على شهادتهم الجامعية ، وأنهوا فترة التدريب الإجبارى (الامتياز) ، ثم انتقلوا لقضاء فترة التكليف الإجبارية ..

وانتهت وأنا أضع قدمىّ على أوّل سلمة فى مشوار طويل ، كان ولا يزال مصدر متعتى الوحيد ..

الأدب .. والقلم ..

والأوراقَ ..

ولقد تمنيت كثيرًا أن أكتب هذه الذكريات والمذكرات ..

وتردَّدت أكثر فى كتابتها ..

ربما لأننى خشيت ألا يتقبَّل القارئ فكرة أن يضيع الكاتب (أى كاتب) بعض الأوراق ، فى الحديث عن نفسه ..

أو لأنه ليس من السهل أن يكتب المرء عن نفسه ..

وحياته ..

وذكرياته ..

ولكن شيئًا ما ، لست أدرى كنهه بالضبط ، جعلنى أحسم ترددى هذا .

شىء ما ، جعلنى أعجز عن مقاومة رغبتى فى كتابة هذه المذكرات ..

ربمّا لأنها أحداث مرّت عليها ثمان عشرة سنة أو أكثر ، وخشيت أن تذوب فى بحر الذاكرة ، فتفقدنى وأفقدها ..

أو ربما لأن المرء يحتاج أحيانًا إلى التحدث عن ذكرياته ..

ربما .

المهم أن هذه الأوراق بين يديكم الآن ..

اعتبروها مجرّد عمل أدبى ..

وهذا سيكفينى ..

تمامًا ..

د. نبيل فاروق

★ ★ ★

١٠ ـ نقطة التحوُّل ..

فجأة ، وبدون مقدمات ، وجدت نفسى أشعر بالتعب والإرهاق ، وأعانى التوتر والشعور بالغربة ، وذلك المرض ، الذى لم أجد له علاجًا قط ، على الرغم من أسفارى المتعدّدة ، والمعروف باسم (الحنين إلى الوطن) ..

والوطن هنا كان بلاد بحرى بالطبع ..

لم يكن هناك أى شىء قد تغيّر أو تبدّل ، فالأمور ، والأحداث ، والتقاليد ، والعادات ، وحتى المناظر والمشاهد ، لا تتغيَّر أبدًا (والعياذ باللّه) ، فى تلك المنتجعات الصعيدية الجبلية الفاخرة ..

الوجوه هى الوجوه ، والأحداث يشبه بعضها البعض ، وما تراه اليوم لن يختلف كثيرًا عما رأيته أمس ، وعما ستراه فى الغد ..

وبعد الغد أيضًا ..

وما دام كل شىء على حاله ، وكل شخص فى مكانه ، وكل جاموسة فى غيطها ، وكل حمار فى زريبته ، وكل شىء تمام يا فندم ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فهذا يعنى أن التغيير قد أصاب شيئًا واحدًا ..

أنا ..

أنا تغيّرت حتمًا ، ولم أعد أحتمل مواصلة هذا النوع من الحياة ،

الذى يختلف كثيرًا عما ألفته أو أطمح إليه ، خاصة وأننى ، وخلال العام الأخير بالتحديد ، كنت قد اعتدت الذهاب إلى مدينة (قنا) ، مرة كل أسبوعين ، وأنا أحمل حقيبة فارغة ، سرعان ما تمتلئ بعشرات الكتب ، التى أشتريها من (دار المعارف) هناك ، لأعود بها إلى (أبو دياب شرق) ، حيث أغرق فى القراءة بكل النهم ، ملتهمًا كل هذه الكتب ، فى شراهة لم أعهدها فى نفسى من قبل ، حتى تنتهى الكتب ، ويمضى الوقت ، فأعود مرة أخرى إلى دار معارف قنا ..

وهكذا ..

أيامها ، قرأت كل مؤلفات (نجيب محفوظ) ، و(يوسف إدريس) ، و(يوسف السباعى) ، و(توفيق الحكيم) ، و(إحسان عبد القدوس) ، و(عبد الحميد جودة السحَّار) و(مصطفى محمود) ، والدكتور (عبد المحسن صالح) ، و(ديستويفسكى) ، و(مكسيم جوركى) وغيرهم ، بالإضافة إلى عدد مدهش من الكتب التى تحكى تاريخ ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م ، ونشأة الصهيونية ودولة (إسرائيل) ، ومذكرات القادة ، ورجال السياسة والعسكرية ..

وفى كل إجازة ، كانت الكتب التى أعود بها إلى (طنطا) تثير دهشة الجميع ، وأصبح من المعتاد أن أسمع سؤالاً واحدًا ، بلهجة تجمع بين الدهشة ، والاستنكار ، وعدم التصديق :

ـ هل قرأت كل هذا ؟!

ولم يكن أحدهم يتصورً ، أو حتى يتخيَّل ، مقدار ما يمكن أن يلتهمه دودة كتب مثلى ، فى مكان منعزل ، ليس فيه راديو أو تليفزيون ، أو شخص يمكننى الاستمتاع بالتحدُث إليه أو محاورته ، اللهم إلا إذا تحاورنا حول المتغيرات السياسية فى نجع الهوَّارة ، أو مشروع تعويم عملة (أبو دياب) ، فى أحد فروع النيل القريبة ..

وعلى كل حال ، لم أحاول أبدًا شرح الأسباب والمبرِّرات ، التى جعلتنى أقرأ كل هذا الكم ، الذى كان يحتلّ حقيبتين كبيرتين ، أعود بهما إلى بلدتى كل شهرين ، وإنما منحت كل من سألنى جوابًا مستفيضًا ، واضحًا ، مقنعًا ، كافيًا ، وأنا أجيب فى حزم :

ـ أيوه .

ومن الواضح أن هذا كان يشرح الموقف كله ؛ لأن أحدًا لم يسألنى بعدها عما يمكن أن يعنيه هذا ..

ولأن أحدًا لم يكن يعنيه هذا بالفعل ..

أما أنا ، فكان هذا يعنينى ..

وبشدة ..

القراءة المتواصلة بدأت تحفر فى أعماقى قنوات عديدة ، لا تجد مصبًا لها ، فى أرض الصعيد ، وبالذات فى حضن الجبل ..

وكان من الضرورى أن أجد مصبَّات لقنوات أفكارى ..

ولسبب ما ، مازلت أجهله حتى هذه اللحظة ، أو ربما لأن القدر كان يدخر لى مستقبلاً مختلفًا ، بدا لى أننى لن أجد هذه القنوات إلا فى بلدتى الأم ، ومسقط رأسى (طنطا) ..

وفى كل يوم يمضى ، كانت الفكرة تتعمَّق فى رأسى أكثر وأكثر ، وتختمر على نحو واضح ، حتى إنك لو وضعت رأسى فى الفرن ـ أيامها ـ لخرجت أشبه بالرغيف البلدى القديم (الذى لم يره أحدكم حتمًا ، إلا فى كتب التاريخ بالطبع) من كثرة ما به من خميرة الأفكار ..

ولكن ما حسم الأمر بالفعل ، وما وضع لمسة النهاية ، وجعلنى أتخذ القرار النهائى ، فى حتمية ترك الصعيد ، الذى قضيت فى حضن جباله ثمانية عشر شهرًا ، هو موقعة حربية صعيدية ، أطلقت عليها أيامها اسم (موقعة الدرباس) .. نعم .. (الدرباس) .. إنك لم تخطئ قراءة الاسم ..

ولكن مهلاً ، حذار أن تفعل مثلى ، وأن تترك فكك السفلى يتدلَّى فى بلاهة ، وأنت تتساءل بنفس العبط ، الذى تساءلت أنا به :

ـ إيه (الدرباس) ده ؟!

فذات يوم ، وبينما أنهى عملى فى الوحدة الصحية ، فوجئت بعدد ضخم من الجرحى والمصابين ، يرد إلى المكان ، والدماء تسيل من الرءوس والأكتاف ، والأذرع والسيقان ، كما لو أن قنبلة عنقودية قد انفجرت ، وسط حشد من البشر هناك ..

وبمنتهى الجزع (العبيط أيضًا) ، هتفت :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابنى أحد المصاحبين لجيش الجرحى هذا :

ـ إنها معركة حول (درباس) .

نطقها باعتبار أن (الدرباس) هذا شىء شائع ومعروف ، حتى إننى شعرت بأنه من العار أن أسأل عن ماهية هذا الشىء الفتَّاك ، الذى انجلت المعركة حوله عن جيش من الجرحى والمصابين ، مع احتمال وجود قتلى حتمًا ، مما يؤكِّد أن هذا (الدرباس) هو فى حقيقته أحد أسلحة الدمار الشامل ، التى من حسن الحظ أن (أمريكا) لم تسمع عنها ، وإلا لجاءت بجيوشها ، واحتلَّت الصعيد كله أيامها ..

المهم أننى لحظتها ألقيت التساؤل حول (الدرباس) الرهيب هذا خلف ظهرى ، وأنا أشمِّر أكمامى ، وألتقط خيوط الجراحة ، وأبدأ عملى ..

لست أذكر بالتحديد كم غرزة جراحية قمت بها ، فى ذلك اليوم ، ولكنها بدت لى لحظتها أكثر من ألف واحدة ، ثمانون فى المائة منها تمت بعد نفاد البنج الجراحى تمامًا ، دون أن تبدو لمحة واحدة من الألم ، على وجوه الجرحى ، حتى تصوَّرت لبعض الوقت أننى أخيط بعض الرتوق فى سجاد قديم ، وليس بعض الجروح ، فى رءوس وأجساد حية ..

واستغرق ترميم أثر موقعة (الدرباس) الرهيبة هذه أكثر من ثلاث ساعات كاملة ، ولم يعد بالوحدة الصحية أدنى أثر للقطن أو الشاش ، أو حقنة مصل تيتانوس واحدة (هذا لو أن التيتانوس يجرؤ على إصابة الإخوة الصعايدة هناك) ..

وغادر آخر مصاب الوحدة الصحية ، بعد أن تصوَّرت أننى سألفظ أنفاسى الأخيرة هناك ، وأصبح أول طبيب يحمل لقب (شهيد الدرباس) ..

وبابتسامة نتبية بريئة ، جاء كاتب الوحدة الصحية (حجاج) يقول :

ـ يوم مرهق .. أليس كذلك ؟!

كان يحمل فى يده دفتر الوفيات ، فبدا لى وكأنه ينتظر سقوطى ، ليدوِّن اسمى فيه ، إلا أنه قال فى هدوء ، كعادته كلما استعدّ للقيام بعملية نصب متقنة :

ـ لدى شهادتا وفاة ، تحتاجان إلى توقيعك .

سألته فى حذر :

ـ أهما قتيلان من موقعة (الدرباس) ؟!

فوجئت به يقهقه ضاحكًا ، وكأنما سمع نكتة جديدة متقنة ، قبل أن يقول ، وكأنه يتحدَّث إلى تلميذ فى (K G 1) ، فى مدرسة الصعيد للمعتوهين :

ـ معارك (الدرباس) تحدث كل يوم ، ولم يسقط فيها قتيل واحد ، منذ نشأ الصعيد .

وهنا وجدتها فرصة نادرة ؛ لأسأله في لهفة :

ـ إيه (الدرباس) ده ؟!

وهنا ، فاجأني (حجَّاج) بأن (الدرباس) ليس أحد أسلحة الدمار الشامل ، أو حتى غير الشامل ، بل هو مجرَّد حاجز من التراب ..

نعم يا صديقي المندهش ..

(الدرباس) الخطير هذا ، والذي نشبت حوله تلك المعركة الطاحنة ، مجرَّد حاجز من التراب ، لا يزيد ارتفاعه على عشرة سنتيمترات ، يفصل كل قطعة أرض عن الأخرى ، في الرقعة الزراعية للبلدة كلها ..

ومعركة ذلك اليوم نشأت من أن أحدهم قد داس ذلك (الدرباس) المقدَّس بقدمه ، فصنع فيه فتحة بعرض القدم ، أي لا تزيد أيضًا على عشرة سنتيمترات (بمقاييس أقدامنا) ، أو متر وربع المتر (بمقاييس أقدامهم) ..

ودون مناقشة ، أو عتاب ، أو حتى شجار ، رفع صاحب (الدرباس) المنتهك شومته الصعيدية ، التي تزدان مقدمتها بقطع من الحديد ، وهوى بها على رأس المعتدي الآثم ..

ولأن القاعدة في الصعيد الجوَّاني هي أن من يرشّهم بالماء يرشونه بالشومة ، حتى يتفجَّر منه الدم ، فقد اندفع شقيق المصاب ، وهوى على رأس صاحب (الدرباس) بشومته ..

وهنا ، أسرع ابن صاحب (الدرباس) ، وهوى بشومته على رأس شقيق المعتدى ..

وهكذا ..

شومة من هنا ، وشومة من هناك ، وتفجَّرت الدماء فى كل مكان ..

وحدثت الموقعة ..

موقعة (الدرباس) ..

كل هذا ، بدلاً من أن يعيد أحدهم التراب إلى مكانه ، وينتهى الأمر فى ثوان معدودة ..

ولكن من يهتمّ ..

الشومة دائمًا أسرع من اللسان ..

وأكثر حسمًا أيضًا ..

وفى تلك الليلة ، وعلى الرغم من كل ما أشعر به من تعب وإرهاق ، لم يغمض لى جفن أبدًا ..

كان ذهنى يدرس ذلك الفارق الجوهرى الأساسى ، بين العقل والشومة .. وليلتها ، ربط ذهنى بين كلمة (درباس) ، وكلمة (ترباس) ، ولن أخبركم لماذا (افهموها أنتم) ..

وفى الصباح الباكر ، انطلقت إلى مديرية الشئون الصحية فى (قنا) ، وقدَّمت طلب نقل إلى ريف (الغربية) ..

وفور عودتى إلى الوحدة الصحية ، فى (أبو دياب شرق) ، بدأت أستعد للعودة إلى بلدتى (طنطا) ..

جمعت كل الكتب فى حقيبتين ، وكل الملابس ، إلا ما يكفى لفترة الانتظار ، ما بين تقديم طلب النقل ، وصدور القرار ..

وعلى الرغم من الصداقات التى عقدتها هناك ، بدت لى الأيام المتبقية أشبه بدهر بلا نهاية ، وأصبحت الثوانى تمضى كالدقائق ، والدقائق تسير كالساعات ، والساعات تبطئ كالأيام ..

أما الأيام نفسها ، فبدت أشبه بالسنوات ..

وربما بالسنوات الضوئية أيضًا ..

وحتى تمضى الأيام الصعبة ، قرَّرت أن أقضى معظم وقتى فى أكثر مكان أشعر فيه بالبهجة ، فى (أبو دياب شرق) ، نظرًا لصعوبة الانتقال اليومى إلى (أبو دياب غرب) ، حيث أصدقائى الحقيقيين (عبد العليم) ، و(كمال) ، و(أبو الحسن) ، وغيرهم ..

وكان هذا المكان هو مندرة عم (على) ..

وعم (على) هذا رجل بدين ، خفيف الظل ، متفتِّح العقل إلى حد مدهش ، ويعشق الحياة إلى درجة لم أر لها مثيلاً ، سواء فى الصعيد ، أو حتى فى وجه بحرى ..

وعلى الرغم من أن عم (على) كان من كبار الهوَّارة ، وأكثرهم سطوة وثراءً ، فقد تزوَّج فتاة من العرب ، وأنشأ منزله فى منتصف

المسافة ، بين نجع الهوّارة ونجع العرب ، وكأنما يعلن بهذا أنه صاحب فكر وسط بين العقليتين ، كما صمَّم بيته بأسلوب مدنى ، أكثر منه قروى ..

وكان الوحيد ، فى القرية كلها ، الذى يمتلك سيارة خاصة ، وكانت هذه حالة فريدة أيامها بالفعل ..

وطوال الوقت لم يكن عم (على) يتحدَّث إلا عن أمرين ، لا ثالث لهما ..

الطعام ..

والنساء ..

وكان مغرمًا بالأمرين إلى حد مدهش ومضحك ، ويعلن هذا دون انقطاع ، باعتبار أن هذه هى كل متع الحياة ، من وجهة نظره ..

ومن المصادفات المدهشة ، أن رقم لوحات سيارته الخاصة كان ستة آلاف وستمائة وستة وستين .. أى أربع ستات ، كما يحلو له أن ينطقها ..

ولقد استقبلنى عم (على) فى منزله بترحاب واضح ، وحرارة لا مثيل لها ، واستمع إلىَّ جيدًا ، وأنا أخبره عن سبب رغبتى فى ترك الصعيد كله ، ثم أيَّد وجهة نظرى ، وأخبرنى أن هذا أمر طبيعى ، وأن ما يحدث هو نقطة تحوّل رئيسية فى حياتى كلها ..

ثم أصرّ على أن أصبح ضيفًا يوميًا على مائدته ، خلال الفترة المتبقية لى ، فى قرية (أبو دياب شرق) ..

وخلال الأيام التالية ، كانت فى انتظارى مفاجأة مدهشة ..

فعم (على) ، على الرغم من تعليمه المحدود جدًّا ، رجل مفكِّر وفيلسوف ، إلى أقصى درجة ..

كانت له فلسفته الخاصة ، وآراؤه الحرة المتقدِّمة ، ونظرياته الثورية ، حول علاقة الهوَّارة بالعرب ، وحتمية نبذ الخلافات (السامية) بينهما ، وعقم فكرة عدم التزاوج بين أسرهما ..

وانبهرت أنا بكل ما أسمعه منه ، وأدركت أن أحاديثه عن النساء والطعام ، كانت لثقته فى أن أحدًا لن يفهمه ..

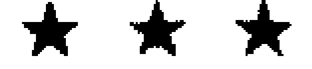
فالرجل كان بالفعل يسبق زمنه بعدة أعوام ، وهذا ما جعله يعزل نفسه عن أقرانه من الهوَّارة ، وحتى عن أصهاره من العرب ، وينشئ منزله فى منتصف المسافة بينهما ..

وبدأت أستمتع بجلساتى مع عم (على) ، وأفرغ معه بعض قنوات فكرى ، وأندم على عدم الاقتراب منه ، طوال عام ونصف العام ، و...

وفجأة ، وبعد أن بدأت أستقر ـ لأوَّل مرة ـ فى (أبو دياب شرق) ، وصل قرار النقل ..

وكانت هذه نقطة تحوُّل ، فى مسار حياتى العملية ..

بل وفى مسار حياتى كلها .



تابع فى الكتاب القادم

دم واحد ..

(نــــداء)

يا كل من يسمع ..

ويقرأ ..

ويفهم ..

يا كل من تبع نبيًّا أميًّا ، بلغ علمه الآفاق ..

نبى عبر بين القبلتين ..

على متن البراق ..

يا كل من شغفتم بالنفاس ..

بالتنافس ..

وانشغلتم بالنفاق ..

اسمعونى ..

اقرءوا قلبى ..

افهمونى ..

الوقت حان لتهبوا من الفراق ..
لتنبذوا الخلاف ..

والشجار ..

والشقاق ..

استيقظوا ، واسمعوا ..

وشاهدوا ..

وتعلموا الدرس ، من دم حر يراق ..

الدم العربى واحد ..

واعد ..

برّاق ..

لا تسدّوا الأعين أو تغمضوا الآذان ..

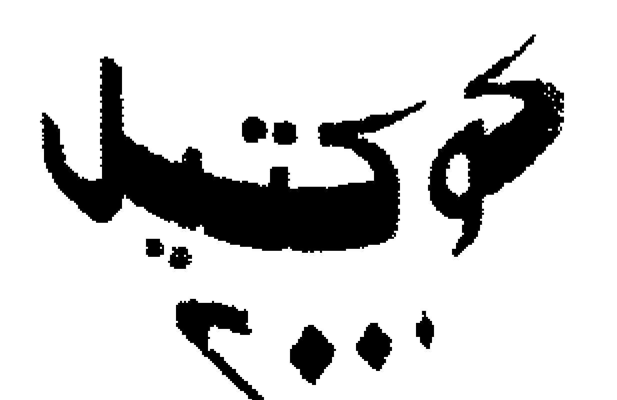
فاليوم أشعر بأن دمى أنا مراق ..

فى نهر دجلة ..

فى فرات العراق ؟

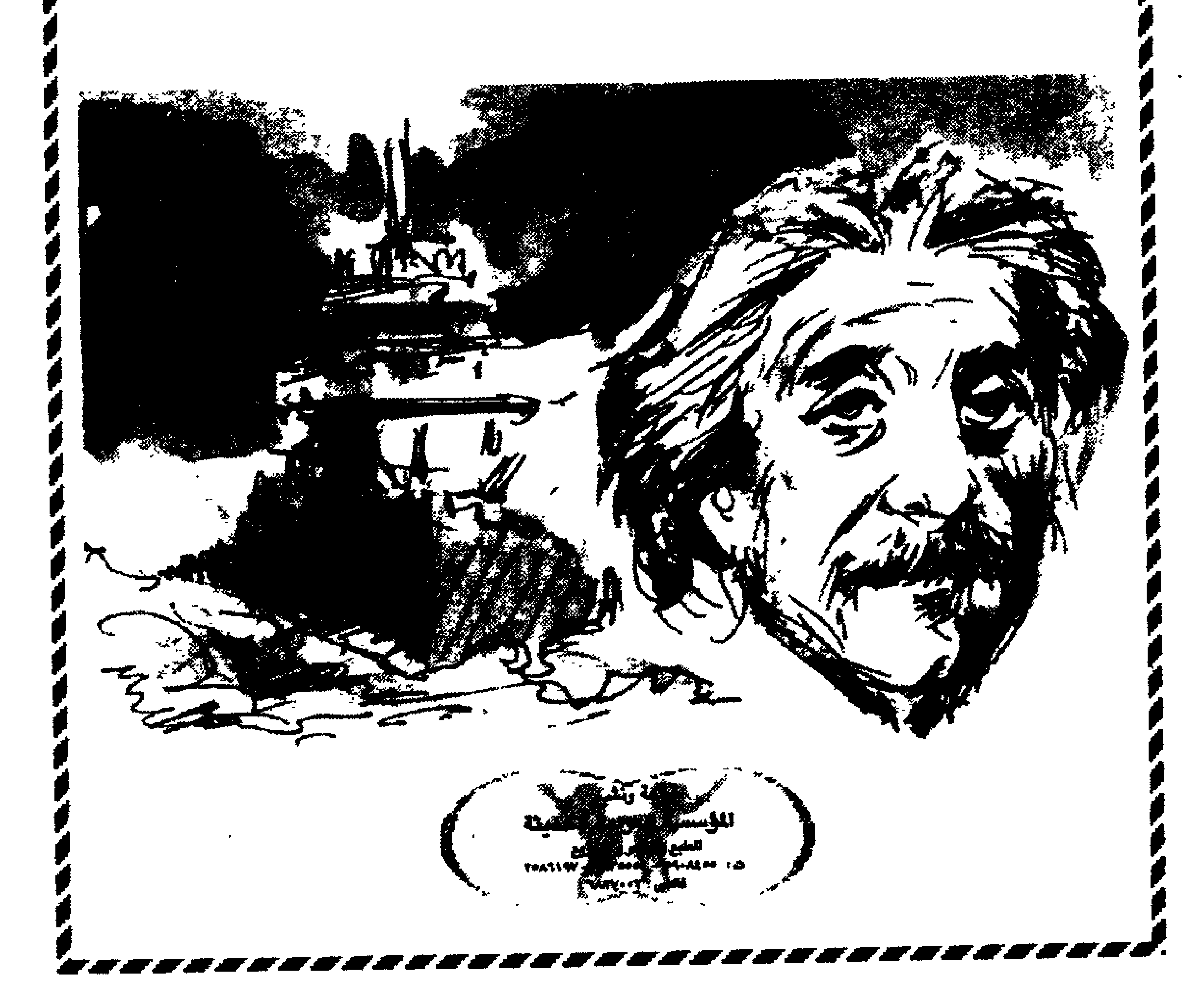
د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب



تجربة (فيلادلفيا)

(دراسة)



١ ـ المجنـــون ..

● كل شئ كان يبدو هادئًا ، فى ذلك الصباح المشرق ، من صيف عام ١٩٥٤م ، عندما أوقف (جون كارنبتر) ، الصحفى فى جريدة محلية صغيرة فى (بوسطون) سيارته ، أمام مقهى شعبى بسيط ، على مشارف ولاية (نيو جيرسى) الأمريكية ؛ ليتناول قدحًا من القهوة ، قبل أن يكمل رحلته الطويلة ؛ لحضور حفل زفاف شقيقه الوحيد (ألبرت) فى مدينة (دوفر) ..

وداخل المقهى ، كان هناك ثلاثة من كبار السن ، يتناولون إفطارهم فى هدوء ، ويتبادلون أحاديث مهمة ، وكأنهم يخشون أن يرتفع صوتهم ، فيحطِّم ذلك الصمت الساكن ، الذى يلفّ المكان كله ..

وبصوت خافت ، صنعه إحساسه بالمكان ، طلب (جون) قدح قهوة بدون سكر ، و...

وفجأة ، اقتحم ذلك الرجل المكان ..

رجل تجاوز الأربعين من عمره بعام أو عامين على الأكثر ، ويوحى بنيانه بأنه كان يمارس يومًا عملاً شاقًا منتظمًا ، يحتاج إلى قوة بدنية عالية ، فى حين يمنحه شعره ، الذى امتزج سواده ببياضه ، مظهرًا أقرب إلى الوسامة المعتدلة ، التى كان من الممكن أن يتمتع بها وجهه كله ، لولا نظراته الزائفة ، ولهجته الحادة إلى حد ما ، وهو يهتف بصوت مرتفع ، بدا وكأنه قد شقّ السكون والصمت فى قسوة :

- من صاحب تلك السيارة الصغيرة فى الخارج ؟!

كان من الواضح أن كل الحاضرين يعرفونه جيدًا ، فقد أداروا أبصارهم إليه لحظة فى إشفاق ، ثم لم يلبث كل منهم أن عاد إلى ما يشغله ، وكأنهم لم يسمعوا حتى ما هتف به ذلك القادم ..

أما (جون) ، فقد انتفض جسده مع الهتاف المباغت ، الذى أفسد ما شعر به من استرخاء فى المكان ، فاستدار إلى صاحبه ، وهم بإبلاغه أنه صاحب السيارة الصغيرة فى الخارج ، وأن المكان متسع ، بحيث لا يمكنه أن يتصورّ أن سيارته هذه ، يمكن أن تسبب لأى مخلوق أية مشكلة ، من أى نوع .. ولكنه لم يكن قد نطق بحرف واحد بعد ، عندما اتجه الرجل نحوه مباشرة ، ولوّح بسبَّابته فى وجهه ، هاتفًا :

- أنت صحفى .. أليس كذلك ؟!

ازدرد (جون) لعابه ، وهو يجيبه :

- بلى .. هل من خدمة يمكننى أن ...

قاطعه الرجل ، قبل أن يتمّ سؤاله :

- إنك تعتقد أننى مجنون .. أليس كذلك ؟!

لم يدر (جون) بم يمكن أن يجيب سؤالاً كهذا ، وشعر بحرج شديد فى أعماقه ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، مغمغمًا :

- الواقع أن ..

مرة أخرى ، قاطعه الرجل ، وهو يميل نحوه ، قائلاً فى توتر بالغ :

ـ هذا ما يريدونه بالضبط .. أن نبدو كالمجانين .. أن يظن الكل أننا فاقدو العقول .. أتعلم لماذا ؟!

لم يفهم (جون) من هؤلاء ، ولا ما الذى يريدونه ، إلا أنه تمتم فى خفوت ، وهو يتطلّع إلى الرجل مباشرة :

ـ لماذا ؟!

أشار الرجل إلى رأسه ، وهو يميل نحوه أكثر ، قائلاً بلهجة عجيبة :

ـ حتى لا يصدقنا أحد .

تضاعفت حيرة (جون) ، وهو يتطلّع إلى وجه الرجل ، الذى اعتدل بحركة واحدة ، وهزّ رأسه ، مستطردًا فى أسى شديد :

ـ ولقد نجحوا فى هذا .. لم يصدقنا أحد .. لقد عشت التجربة بنفسى ، ورأيت ما يمكن أن يصيب أكثر الناس عقلاً بالجنون ، ولا أحد يصدقنى .

بدا الضجر والتبرُّم ، على وجه صاحب المقهى ، وهو يقول فى شىء من الخشونة والغلظة :

ـ عد إلى منزلك يا (فيليب) .. الوقت ما زال مبكرًا على ما تفعله .

لوَّح (فيليب) هذا بذراعه كلها ، صائحًا :

ـ الوقت ما زال مبكرًا ؟! أى قول هذا يا رجل .. أتظنني مخمورًا ؟! إننى لم أتناول قطرة واحدة من الخمر هذا الصباح ، ولكن الصحافة ينبغى أن تعرف الحقيقة .. كل الحقيقة .

جذبت العبارة انتباه (جون) بشدة ، وخاصة عندما حملت الكلمتين ، اللتين تعنيان عنده كل شىء ..

الصحافة .. والحقيقة ..

وفى حدة واضحة ، كرَّر صاحب المقهى :

ـ عد إلى منزلك يا (فيليب) .

ولكن (جون) أشار إليه بالهدوء ، وهو يسأل الرجل فى اهتمام :

ـ أية حقيقة يا سيِّد (فيليب) ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ (دوران) .. اسمى (فيليب دوران) .. خاطبنى باسم السيِّد (دوران) ..

سأله (جون) مرة أخرى ، فى اهتمام أكثر :

ـ فليكن .. ما الحقيقة التى تعنيها يا سيِّد (دوران) ؟!

التقط (فيليب) نفسًا عميقًا ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً بلهجة خاصة ، توحى بأهمية خطورة الأمر :

ـ حقيقة السفينة (DE - 173) ..

وبح صوته مع انفعاله الجارف ، وهو يميل أكثر ، مكملاً :

ـ لقد رأيتها تختفى أمام عينى .. بكل ما عليها ، ومن عليها .

لم يفهم (جون) ما يعنيه هذا بالضبط ، ولكنه تمتم :

ـ تختفى ؟! أتقصد تغرق ؟!

هزّ (فيليب) رأسه فى قوة ، وهو يلوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ لا .. لم تغرق .. اختفت .. تلاشت .. أحاط بها بخار رمادى خفيف ، ثم اختفت ..

وارتفع صوته بغتة ، كما لو أن نوبة من الجنون قد أصابته ، وهو يتابع :

ـ تمامًا مثل فيلم (الرجل الخفى) .. هل تذكره ؟!

اتسعت عينا (جون) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه (فيليب) ، فى حين صاح صاحب المقهى فى غضب :

ـ (فيليب) .. لقد حذّرتك من القدوم إلى هنا ، وترديد تلك الخزعبلات .. هيا .. انصرف .. عد إلى منزلك ، وإلا ...

صاح (فيليب) فى ثورة :

ـ ليست خزعبلات .. لقد رأيتها بنفسى .

اختطف صاحب المقهى بندقيته ، وصوَّب فوهتها إلى (فيليب) ، صائحًا فى خشونة شديدة قاسية :

ـ عد إلى منزلك .

مطَّ (فيليب) شفتيه فى يأس ، وهزَّ رأسه مستسلمًا ، ثم أدار وجهه إلى (جون) ، وكررَّ فى إصرار :

ـ لقد رأيتها تختفى .

ثم استدار ، وغادر المكان بخطوات متثاقلة مرهقة ، جعلته يبدو وكأنه يفوق عمره الحقيقى بثلاثين عامًا على الأقل ، فى حين أعاد صاحب المقهى بندقيته إلى موضعها ، وهو يقول فى غلظة :

ـ لاتلق بالاً لحديثه هذا .. إنه مجنون بالفعل .. كان مجندًا فى مشاة البحرية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وخرج منها عام ١٩٤٤م ، بسبب جنون صنعه الخوف ، وقضى ما يقرب من ثمانى سنوات ، فى مصحة للأمراض النفسية والعصبية ، ومنذ سمحوا له بالخروج منها ، وهو يردِّد هذه السخافات .

تألَّقت عينا (جون) ، على نحو أدهش صاحب المقهى نفسه ، وهو يسأله فى لهفة شديدة :

ـ كان أحد جنود مشاة البحرية ؟! قل لى يا رجل : هل تعلم أين كانت وحدته بالضبط ؟!

رمقه صاحب المقهى بنظرة حذرة ، وهو يجيب :

ـ فى (فيلادلفيا) ، حسبما أذكر .

وهنا ، تضاعف تألُّق عينى (جون) ، وهو يهتف :

ـ (فيلادلفيا) .. آه .. كنت أتوقَّع هذا .

ثم اندفع خارج المقهى ، فى محاولة للحاق بالرجل ، وهو يهتف :

ـ سيِّد (دوران) .. انتظرنى .. أريد أن أتحدَّث إليك .. صحفيًّا .

واتسعت عيون الجميع فى دهشة مستنكرة ، وقد بدا لهم لحظتها أن (جون) هو المجنون الحقيقى فى هذا الأمر ..

ولم يخطر ببال أحدهم لحظة واحدة ، أن (جون كارنبتر) قد وضع يده ، فى تلك اللحظة التاريخية ، على طرف الخيط ، الذى سيقوده إلى كشف أخطر تجربة بحرية عسكرية ، أجرتها الولايات المتحدة الأمريكية ، فى تاريخها كله ..

تجربة (فيلادلفيا) ..

الرهيبة ؟

★ ★ ★

٢ ـ أينشـتين ..

● منذ وضع نظريتـه النسبية ، عام ١٩٠٥م ، سجَّل (ألـبرت أينشتين) اسمه ، فى تاريخ العلم الحديث ، كواحد من أكثر العلمـاء عبقرية وجرأة ، خاصة وأن نظريته المدهشـة قـد صنعت منعطفًـا هائلاً فى مسار العلم الفيزيائى كله ..

ولأن طبيعة العلماء تدفعهم دومًا للبحث والدراسة ، مهما حققوا من نتائج ، ومن نجاحات ، فقد انشغل العالم الفـذ ، منـذ أوائل عام ١٩١٦م ، فـى دراسـة مـا أطلـق عليـه اسـم (نظريـة الحقـل الموحَّد) ..

ففـى ذلك الحين ، راودت (أينشـتين) فكـرة ألا تكـون الجاذبيـة الأرضيـة قـوة علـى الإطـلاق ، بـل مجـرَّد خاصيـة مـن خـواص ما أسماه (الزمكان) ، أو ارتباط طاقة الزمن بالمكان ..

وتمـادى (أينشـتين) فـى بحثـه هذا ، إلـى درجـة قولـه : بـأن ما نطلق عليـه اسـم المـادة ، ليس أكثـر مـن منطقـة ، حـدث فيهـا تركيز بالغ القوة لطاقة ذلك الحقل الموحَّد ، بحيث صارت ملموسـة ومحسوسة ..

باختصار ، أراد صـاحب النظريـة النسبية أن يثبت ، أن المـادة هى صورة من صور الطاقة ، وليس العكس ..

وعلى الرغم ممـا يتمتَّع به (ألبرت أينشـتين) ، مـن مصداقية

واحترام ، فى الأوساط العلمية والفيزيائية ، إلا أن نظريته الجديدة هذه قوبلت بشىء من التحفُّظ والحذر ، باعتبار أن كل قواعد العلم تؤكِّد أن المادة والطاقة يتواجدان جنبًا إلى جنب فى الحياة ، وأن المادة يمكن أن تتحوَّل إلى طاقة ، بالاحتراق أو التبخُّر مثلاً ، فى حين تقول نظرية (أينشتين) الجديدة إن كل ما يحدث هو أن الطاقة تعود إلى حالتها الأولى فحسب ، عندما تتحلَّل من صورتها المادية ..

وعلى الرغم من الاعتراضات العديدة ، واصل (أينشتين) العمل فى نظريته هذه ، وفى محاولاته لإثبات أن الجاذبية ليست قوة فى حد ذاتها ، وإنما هى تأثير من تأثيرات الاندماج ، أو التناغم ، بين عدة قوى أخرى ، على رأسها المجالات الكهرومغنطيسية الأرضية ..

وفى عام ١٩٢٧م ، بدأ (أينشتين) يمزج نظريته هذه ، مع نظرية تبادل الطاقة ، التى تقول : إن كل نوع من الطاقة يمكن أن ينشأ من نوع آخر منها ، تمامًا كما يمكن توليد الكهرباء بوساطة مغنطيس ، فى المولدات الكهربية العادية ، فى نفس الوقت الذى يمكن فيه توليد المغنطيسية من الكهرباء ، كما نجد فى المغنطيس الكهربى ..

وهنا ، وضع العالم الفيزيائى العبقرى يده ، على حقائق (نظرية الحقل الموحَّد) ..

وهذا الحقل هو ما ينشأ من مزج الطاقة الكهربية بالمجال المغنطيسى للأرض ، والجاذبية الأرضية ، والأشعة الكونية والنووية معًا ..

وطوال عمره ، الذى تجاوز السادسة والسبعين ، ظلّ (أينشتين) وحده فى هذا الملعب ، يسعى لإثبات (نظرية الحقل الموحّد) ، فى حين يصرّ باقى العلماء على أنه يلاحق هدفًا وهميًّا ، فى محاولة عابثة ، لإيجاد قواعد لنظام الفوضى (على حد قولهم) ..

ولكن هناك بعض الأدلة ، التى تشير إلى أن (أينشتين) قد أجرى بالفعل تجربة عملية ، على تأثير الحقل الموحّد هذا ..

وأنها كانت تجربة رهيبة ..

إلى أقصى حد ..

ففى (نيو جيرسى) ، عام ١٩٥٤م ، وعندما لحق الصحفى (جون كارنبتر) بذلك الرجل (فيليب دوران) ، الذى يتصوّره سكان بلدته مجنونًا ، وجمعتهما جلسة واحدة هادئة ، قال (فيليب) :

ـ كان هذا فى أكتوبر ١٩٤٣م ، عندما أخبرونا أنهم سيجرون تجربة خاصة جدًّا ، على سلاح جديد ، لو نجح ، فسيؤدّى إلى سحق الأسطولين ، الألمانى واليابانى معًا ، بأقل خسائر ممكنة .. وفى ذلك اليوم ، اجتمع كبار القادة فى (فيلادلفيا) .. فى القاعدة البحرية

هناك ، وجاء بعض المدنيين ، أحدهم كان طويل الشعر أشيبه ، صاحب شارب كث ، أثار سخرية البحارة ، وكان من الواضح أنهم يولونه جميعًا اهتمامًا بالغًا ، وهو يشرف على تركيب بعض الأجهزة ، التى لم أر مثلها قط ، ثم جاءت السفينة (DE - 173) .

راح (فيليب) يلهث على نحو عجيب ، من فرط الانفعال ، عندما بلغ هذه النقطة ، فناوله (جون) قدحًا من الماء ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ هل تعرف اسم ذلك المدنى طويل الشعر ؟!

هزَّ (فيليب) رأسه نفيًا ، وهو يجرع قدح الماء ، ثم أجاب :

ـ أظننى رأيته فى مكان ما ، ولكننى لست أذكر أين بالضبط !!

أومأ (جون) برأسه متفهمًا ، وسأله :

ـ ماذا حدث ، بعد قدوم السفينة (DE - 173) ؟!

تنهَّد (فيليب) فى عمق ، قائلاً ، وقد عاوده ذلك اللهاث الانفعالى :

ـ كانت هناك سفينتان أخريان ، على جانبى (DE - 173) ، وعلى متنهما تلك الأجهزة العجيبة ، ولقد راحتا تبثان طاقة ما ، نحو السفينة .. فى البداية ، بدا الأمر أشبه بأزيز ينتشر فى الهواء ، ثم تحوَّل إلى طنين قوى ، وبعدها أصبح ارتجاجًا عنيفًا ، جعلنى أغلق عينىَّ فى قوة ، ورأسى يكاد ينفجر ، وعندما فتحتهما ثانية ، كان

هناك ضباب رمادى خفيف ، يحيط بالسفينة (DE - 173) ، ثم لم يلبث ذلك الضباب أن أصبح شفافًا ، واختفت داخله السفينة تمامًا ، حتى لم يعد يظهر سوى أثرها على سطح الماء .

اتسعت عيناه ، وكأنما يستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، وهو يلوِّح بكفيه فى الهواء ، متابعًا فى انفعال :

ـ كنت أسمع صراخًا رهيبًا ، ينبعث من الفراغ ، الذى تركته السفينة خلفها ، وكأنما يعانى بحارتها عذابًا يفوق احتمال البشر ، ولكن الكل أكدوا أنهم لا يسمعون شيئًا ، وأننى أتوهم فحسب ، حتى عادت السفينة للظهور ، وتلاشت تلك السحابة الرمادية ، وعرفنا ما حدث .

كان الهلع محفورًا على ملامحه ، وهو ينطق الجملة الأخيرة ، مما دعا (جون) إلى أن يسأله فى لهفة :

ـ وماذا حدث ؟!

اتسعت عينا الرجل أكثر ، وهو يلوِّح بذراعيه كلهما ، مجيبًا :

ـ أمور رهيبة .. رهيبة إلى حد لا يمكن وصفه .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى ارتياع :

ـ الرجال أصيبوا بصدمة هائلة .. بعضهم شعر بآلام مفزعة ، فى كل خلية من جسده ، والبعض الآخر شاهد أشباحًا ، والبعض الثالث فوجئ بمخلوقات عجيبة تهاجمه .. المهم أنهم عانوا جميعًا من عذاب لا مثيل له ، خلال الدقائق القليلة ، التى اختفوا فيها ، مع (DE - 173) ..

اتسعت عينا (جون) عن آخرهما ، وهو يحدِّق في وجه (فيليب) ، الذي شحب حتى نافس وجوه الموتى ، من هول ما تستعيده ذاكرته ..

ولم تكن هذه أوَّل مرة ، يسمع فيها الصحفي (جون كارنبتر) بأمر تجربة (فيلادلفيا) الرهيبة هذه ..

ففي عام ١٩٥٣م ، التقى بضابط سابق من البحرية ، همس في أذنه بأنه قد سمع من بعض القادة القدامى ، أن تجربة علمية مدهشة قد أجريت ، في منطقة أمنية خاصة ، في ساحة البحرية في (فيلادلفيا) ، لإخفاء مدمرة كاملة ، كوسيلة لابتكار سلاح سرى خفي ، قادر على مباغتة الأسطول الياباني ، في عرض المحيط الهادى ..

ومنذ ذلك الحين ، ترامى إلى مسامعه الكثير من الأحاديث ، حول التجربة الرهيبة ، ولكنها كلها لم تحمل لمحة تأكيد واحدة ، مما جعله يتجاهل الأمر برمته ، ولا يوليه الاهتمام الكافي ، باعتبار أن كل ما يسمعه مجرَّد شائعات ، أو أمور أسيء فهم مدلولاتها ، كما يحدث في كثير من الأحيان ..

حتى التقى بذلك الرجل (فيليب دوران) ..

فعلى الرغم من أن الكل يعتبر (فيليب) هذا مجنونًا ، إلا أن كونه أحد مشاة البحرية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، في منطقة (فيلادلفيا) بالذات ، كان يمنح حديثه شيئًا من المنطقية ..

ثم إنه كان أوّل شاهد عيان على ما حدث ..

وبحركة مفاجئة ، هبَّ (جون) من مقعده ، واندفع نحو كومة مهملة من الصحف ، والتقط من بينها صحيفة قديمة ، وضعها أمام (فيليب) ، وهو يشير إلى صورة فى واجهتها ، متسائلاً :

ـ هل يمكنك أن تجد ذلك الأشيب طويل الشعر ، كث الشارب هنا ؟!

ألقى (فيليب) نظرة ممعنة على الصورة ، قبل أن يشير إلى أحد الأفراد فيها ، وهو يجيب فى ثقة وحزم :

ـ إنه هذا الرجل .

وتألّقت عينا (جون كارنبتر) فى شدة ..

فالرجل الذى تعرَّفه (فيليب) فى الصورة ، باعتباره ذلك الذى كان يشرف على الأجهزة ، فى تجربة (فيلادلفيا) ، لم يكن سوى (أينشتين) ..

(ألبرت أينشتين) .. شخصيًّا ؟

★ ★ ★

٣ ـ شهود العيان ..

● على الرغم من أن الصحفى (جون كارنبتر) قد حصل على قصة مدهشة ، حول تلك التجربة الرهيبة ، التى قامت بها البحرية الأمريكية فى (فيلادلفيا) ، فى أكتوبر ١٩٤٣م ، لإخفاء السفينة الحربية (DE - 173) ، والتى تسبَّبت فى كارثة بشعة ، لكل من كان على ظهر السفينة ، إلا أنه كان يدرك جيِّدًا استحالة نشر القصة ، خاصة وأن الشاهد الوحيد ، الذى روى ما حدث ، يعتبر من الناحية القانونية ـ مجنونًا ..

ولقد حار (جون) طويلاً ، فى إيجاد حل لهذه المشكلة ، قبل أن يتفتق ذهنه عن حل جيِّد ..

ففى الصفحة الثالثة ، من جريدته المحلية ، وأسفل أخبار الحوادث المحدودة ، روى (جون) كل ما حدث ، فى أثناء رحلته إلى (دوفر) ؛ لحضور حفل زفاف شقيقه (ألبرت) ..

وبأدق التفاصيل ..

ثم انتظر ..

كان كل ما يأمله ، هو أن تُجرى البحرية الأمريكية اتصالها به ؛ لتنفى القصة تمامًا ..

ولكن هذا لم يحدث أبدًا ..

لقد تجاهلت البحرية الأمريكية الموقف تمامًا ، وكأنه لم يكن ، ولم تحاول النفى أو التكذيب ، أو حتى الاستنكار ، بل تصرَّفت كما ينبغى أن تفعل ، لو أن هذه مجرَّد ترهات مخبول ..

ومن المؤكَّد أن هذا التجاهل كان مدروسًا بمنتهى الدقة ، من قبل البحرية الأمريكية ؛ إذ إن التجاهل التام كفيل بإنهاء الموقف كله ، فى حين أن أى رد فعل إيجابى آخر ، مهما كان هدفه ، سيمنح (جون) فرصة الرد ، والتعليق ، وربما التمادى أيضًا ، وصنع قضية ترغب القيادة كلها فى إغلاق كل أبوابها إلى الأبد .. والواقع أن هذا قد أغضب (جون) بشدة ..

أغضبه ؛ لأنه يفسد خطته كلها ، وينسفها من أساسها ؛ فمن غير المنطقى أن يواصل نشر أية مقالات ، حول الأمر نفسه ، دون ردود أفعال واضحة من جهة ما ، خاصة وأن معظم من قرأ القصة لم يولها الكثير من الاهتمام ، باعتبار أن راويها مجنون ، وأن القصة نفسها عسيرة التصديق ..

وبدأ (جون) يشعر باليأس ، وفكَّر فى تجاهل الأمر كله ، ونسيان ما سمعه من (فيليب دوران) ، و...

وفجأة ، وصل ذلك الخطاب ..

خطاب يحمل توقيع (باتريك ماسى) المتخصِّص ، والباحث فى مجال الكهرباء ، والذى قال فيه ، بالحرف الواحد :

ـ « مررت بتجربة غير عادية ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية ،

عندما كنت أخدم فى صفوف البحرية ، فى أواخر ١٩٤٥م ، عندئذ كنت فى موقع ما ، فى أثناء خدمتى فى (واشنطن) ، وأتيح لى أن أشاهد جزءًا من فيلم خاص جدًّا ، كان يشاهده بعض ضباط البحرية ، من كبار الرتب ، وكان يدور حول تجربة ما ، تجرى فى البحر ، ولأن مهامى الأمنية لم تكن تسمح لى بالجلوس ومشاهدة الفيلم ، إلا أننى استطعت أن ألمح جزءًا منه ، حيث كانت هناك سفينتان تبثان نوعًا من الطاقة ، نحو السفينة الوسطى ، وأظنها كانت موجات صوتية ، إلا أننى لست واثقًا من هذا .. المهم أن السفينة الوسطى قد اختفت ، داخل ضباب شفاف ، على نحو بطئ ، بحيث لم يعد لها من أثر ، سوى ما تركته على سطح الماء ، قبل أن تعود إلى الظهور فى بطء ، وبعد الفيلم ، سمعت القادة وهم يناقشون ما رأوه ، وكان أحدهم يقول : إن سبب المشكلة ، التى أصابت أفراد طاقم السفينة ، هو استمرار الحقل الموحَّد لفترة طويلة .. »

إلى هنا ، انتهت رسالة (باتريك) ، التى يمكن اعتبارها نسخًا لشهادة (فيليب) ، باستثناء أمر واحد فحسب ..

إنها أوّل مرة ، يُذكر فيها اسم (الحقل المُوحَّد) ..

ولأن (جون) كان دارسًا جيِّدًا للعلوم ، فقد جذب المصطلح انتباهه واهتمامه ، فراح يبحث عنه ، فى كل الموسوعات العلمية المعروفة ، وكل المجلات العلمية المتخصِّصة ، حتى عثر أخيرًا

على مقال ، يهاجم فيه أحد العلماء تلك النظرية ، التى حاول (أينشتين) إثباتها ، منذ ما يقرب من أربعة عقود من الزمن ..

نظرية الحقل الموحَّد ..

وهنا ، أيقن (جون) من أن حديث (فيليب) لم يكن مجنونًا ، بل كان حقيقيًا إلى أقصى حد ..

ونشر (جون) خطاب (باتريك) ، إلى جوار رأيه الشخصى حول الأمر ، كما ربط كل هذا بنظرية (أينشتين) ، حول الحقل الموحَّد للطاقة ..

وهنا ، تفجَّر الموقف إلى أقصاه ..

وانهالت الخطابات والتعليقات على الجريدة ..

وتحوَّل الأمر فجأة إلى قضية كبرى ، حتى إن ثلاثًا من الصحف الكبرى ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أعادت نشر مقالى (جون) ، لتقرأ (أمريكا) كلها قصة تجربة (فيلادلفيا) ..

وهنا أصبح السكوت مستحيلاً ..

وعلى الرغم من أن البحرية الأمريكية لم تُصدر بيانًا رسميًّا حول الأمر ، إلا أن أحد قادتها صرَّح ، فى مؤتمر صحفى غير رسمى ، أن ما نشر مجرَّد خزعبلات ، وأنه من المضحك أن يقال إن إخفاء سفينة حربية كاملة ، يمكن أن يكون حقيقة واقعية ..

وبدلاً من أن يُهدّئ هذا التصريح الموقف ، فإنه أشعله بشدة ..

وبدأ (جون) يجرى تحرياته على نطاق واسع ، بتمويل من إحدى الصحف الكبرى فى (واشنطن) ، كما اضطر للاستعانة بثلاثة من المعاونين ، لفرز كل ما يصله من خطابات ورسائل وبرقيات ، لاختيار ما تلوح الجدية من بين سطوره ، واستبعاد محاولات الشهرة والجدل العقيم ..

ولقد تأكّد (جون) من أن (فيليب دوران) كان يعمل فى قطاع الأمن ، فى مشاة البحرية الأمريكية ، فى (فيلادلفيا) ، فى أكتوبر ١٩٤٣م ، كما حصل على وثائق تثبت عمل (باتريك ماسى) ، كخبير فى الكهرباء ، وانتدابه من البحرية إلى القيادة فى (واشنطن) ، خلال عام ١٩٤٥م ، مما يمنح شهادة الرجلين مصداقية لا بأس بها ..

ثم توصّل إلى حقيقة أخرى مدهشة ..

فما يقرب من ٦٦٪ من أفراد طاقم السفينة الحربية (DE - 173) ، تم إيداعهم مصحات نفسية وعصبية ، خلال الفترة من نوفمبر ١٩٤٣م ، وحتى ديسمبر ١٩٤٥م ، وبعضهم ظلّ هناك حتى منتصف الخمسينات ..

وتساءل (جون كارنبتر) ، فى مقاله التالى :

ـ أمن المنطقى أو المعقول ، أن يصاب كل هذا العدد من رجال

البحرية ، من سفينة واحدة ، باضطراب عقلى مشترك ، دون سبب واضح ؟!

وجاء السؤال كطعنة فى الصميم ، لقيادات البحرية الأمريكية ، التى واصلت عدم التعليق رسميًّا ، ولكنها أخفت ـ فى الوقت ذاته ـ كل الأوراق والوثائق ، الخاصة بالسفينة المنكوبة ..

وعلى الرغم من توالى الشهادات من كل صوب ، على مكتب (جون كارنبتر) ، ومن أن العشرات من بحارة طاقم (DE - 173) قد قصوا القصة نفسها ، وأيَّدوا ما قاله (فيليب) و(باتريك) ، إلا أن جميعهم كانوا يحملون شهادة طبية رسمية ، تؤكِّد أنهم ليسوا فى حالتهم الطبيعية ، مما جعل شهادتهم بلا سند قانونى مؤكد ..

وربما كان هذا هو السبب الرئيسى ، الذى دفع قيادات البحرية إلى إيداعهم هذه المصحَّات ، خلال فترة الحرب ، وما بعدها ..

وفى رسالة أحد البحارة ، وهو (مايكل جريج) ، المسئول الثانى عن الدفة ، قال الرجل :

ـ كنا على ظهر السفينة ، نعلم جيِّدًا أنهم سيقومون بتجربة سلاح ما ، وكان معظمنا مفعمًا بالحماسة ، ثم بدأت تلك المولدات الضخمة فى العمل ، وشعرنا وكأن رءوسنا ستنفجر ، وكادت قلوبنا تثب من صدورنا ، مع عنف خفقاتها ، وبعدها أحاط بنا ضباب أخضر كثيف ، وأظلمت الدنيا من حولنا ، وكأننا قد فقدنا

أبصارنا ، فاستولى الرعب على معظمنا ، وراح الكل يعدو بلا هدف ، فى كل مكان وكل اتجاه ، وتصوَّرت أننا قد غرقنا فى عالم آخر ، أو أن عقولنا قد أصابها الجنون ، مع تلك الهلاوس التى تراءت لنا ، فصديقى (ميجور) أقسم إنه يرى زوجته الراحلة ، والضابط (براد) راح يضحك فى جنون ، والقبطان (رود) أخذ يدير الدفة فى حركات هستيرية ، وهو يصرخ بأنه من الضرورى أن نخرجَ من بحر الظلمات هذا ، أما أنا ، فلقد التقيت بمخلوقات من عالم آخر ، أو هى وحوش ، أو لعلها مجرَّد هلاوس مجنونة .. المهم أن ما عانيناه هناك لم يكن عاديًّا أبدًا ، بل كان يستحق أن نُصاب بجنون حقيقى .

كان أوَّل خطاب من أحد بحارة السفينة المنكوبة ، وإن كان إثبات هذا أمرًا مستحيلاً ، بعد أن أخفت البحرية كل الوثائق الرسمية ، وواصلت إصرارها على رفض التحدُّث عن الأمر ، على الرغم من سيل الخطابات ، واهتمام الرأى العام ..

ثم وصل إلى (جون) فجأة خطاب خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

هذا لأنه كان كافيًا ؛ ليقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

وبعنف ؟

* * *

٤ـ الرسالة ..

● استمر صراع (جون كارنبتر) طويلاً ، في محاولته لإثبات قيام البحرية الأمريكية بتلك التجربة الرهيبة ، التي حاولت فيها إخفاء سفينة حربية كاملة ، لولا أن أصيب طاقمها بأضرار فادحة ، حتمت إيقاف التجربة وعدم تكرارها ..

وعلى الرغم من سيل الخطابات والرسائل ، ومن شهود العيان ، الذين وصفوا ما حدث على سطح السفينة ، ظلّ الأمر كله أشبه بلعبة عبثية ، مع غياب الدليل المادي الحاسم ، على حدوث تلك التجربة ، خاصة وأن كل الشهود كانوا من نزلاء المصحات النفسية السابقين ، ومن بحارة السفينة أيضًا ..

ومع مواصلة البحرية صمتها العنيد ، بدأ الموقف ينحسر ، وراح اهتمام العامة يقل تدريجيًّا ، و...

وفجأة ، وصلت رسالة بالغة الخطورة ..

رسالة تحمل توقيع العالم الفيزيائي المعروف (ألند) ..

وفي رسالته ، قال (ألند) :

ـ « لن يمكنكم أن تتصوَّروا عظمة تجربة (أينشتين) ، التي لم يعترف بها أحد .. لقد دفعت يدي حتى المرفق ، داخل حقل الطاقة الفريد هذا ، بمجرَّد أن بدأ في التدفُّق ، في عكس اتجاه عقارب

الساعة ، حول السفينة البحرية (DE - 173) ، ولقد شعرت به يعبر يدى الممدودة داخله .. أما الهواء حول السفينة ، فقد تحوّل فى بطء إلى لون قاتم ، قبل أن يتكوّن سديم رمادى ضبابى ، أشبه بالسحاب الخفيف ، أظنه الجسيمات الذرية ، أو الهواء المتأيّن ، حول السفينة ، التى راحت تختفى تدريجيّا ، عن الأعين البشرية .. هذا الحقل يوحى بأنه هناك كهربية صافية تحيط به بمجرّد تدفُّقه ، ولقد كان من القوة ، بحيث كاد يبتلع جسدى كله ، عندما بلغت كثافته أقصاها ؛ إذ راح يتحرّك بغتة فى اتجاه عقارب الساعة ، وأظن أن هذا الانعكاس فى الحقل ، هو سبب فشل التجربة .. » ..

رسالة كهذه ، من عالم له مكانته مثل (ألند) كانت تكفى لكسر حاجز صمت البحرية بعنف ، مما أجبر قيادتها على الإدلاء ببيان رسمى ، قالت فيه باختصار ، أقل ما يوصف به هو أنه مخل ، وغير مُشبع :

- لا يوجد فى ملفات البحرية كلها ، ما يحمل اسم (تجربة فيلادلفيا) ..

ولقد فجّر هذا البيان المختصر ، موجة من السخط والغضب فى كل الأوساط ..

بل وموجة من السخرية أيضًا ، فقد كتب (جون) ، فى مقاله التالى ، إنه لم يسمع أو يقرأ ، فى حياته كلها ، بيانًا أكثر سخافة وسذاجة ، من بيان قيادة البحرية هذا ؛ إذ إنه ليس بالضرورة أن

تحمل التجربة ، فى ملفات البحرية ، اسم (تجربة فيلادلفيا) ، الذى أطلقه هو على الأمر ، وأنه من المحتم أن يكون لها كود سرى خاص ، مثل (الرجل الخفى) ، أو(الفراغ) ، أو أى اسم آخر ..

ثم عاد ينشر شهادة العالم البروفيسير (ألند) وكأنه يتحدّى بها كل قيادات البحرية ..

وانتقلت العدوى إلى عشرات الصحفيين الآخرين ، الذين راحوا يتساءلون بدورهم عن صحة التجربة من عدمها ، فى نفس الوقت الذى سعوا فيه للقاء البروفيسير (ألند) والتأكد من حقيقة ما ذكره فى رسالته .

وقبل حتى أن يعلن (ألند) صحة ما ورد فى رسالته وصلت رسالة أخرى من عالم آخر ، إلى مكتب (جون كارنبتر) ..

من البروفيسر (فالنتين) ، أحد أشهر علماء الطاقة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية كلها ..

وعلى عكس رسالة (ألند) ، لم يكن (فالنتين) شاهدًا على ما حدث ، وإنما كان ينقل حديثًا ، دار بينه وبين عالم آخر شهير ، وهو الدكتور (جيسوب) ..

وفى رسالته ، قال (فالنتين) :

- (جيسوب) أخبرنى أن التجربة قد أجريت ، بوساطة مولدات مغنطيسية ، من النوع المستخدم فى البحرية ، والمعروفة باسم (معادل المغنطيسية) ، ولقد أصدرت تلك المولدات نبذبات عالية للغاية ، ورنينًا مرتفعًا ، لخلق حقل مغنطيسى هائل ، حول السفينة ..

كان من الواضح أن (فالنتين) على علم بالتجربة فى حينها ، وأن (جيسوب) أحد المشاركين فيها ، مما أثار مشاعر الكل ، ودفع سيلاً من الصحفيين ورجال الإعلام نحو (فالنتين) ، الذى فوجئ بهذا الجيش حوله ، وبآلاف الأسئلة التى تخترق أذنيه ، وعقله ، وكيانه كله ، فارتبك واضطرب ، وحاول نفى معرفته بالأمر ، على الرغم من اعترافه بإرسال تلك الرسالة إلى (جون) ، وكل ما قاله أمام الصحفيين هو :

ـ كل ما أعلمه هو أن الأمر يحتاج إلى ثلاثة من حقول الطاقة المختلفة ، لتتناسب مع مستويات الفراغ الثلاثة ، وأن الأمر يرتبط بالرنين المغنطيسى الفائق ، على نحو ما ..

وعلى الرغم مما قاله (فالنتين) ، فإن (جيسوب) أصرّ على الصمت التام ، ولم ينف أو يؤيِّد ما قاله زميله ، ورفض تمامًا الإدلاء بأية أحاديث صحفية ، أو حتى إجابة سؤال واحد ..

وهكذا فقد (جون) دليلاً قويًا ، كان يمكن أن يحسم الأمر تمامًا ..

ولكن حملته نجحت فى تفجير القضية ، وفى دفع العقول إلى التفكير فى صحة ما حدث ..

بل ، ودفعت فريقًا من العلماء أيضًا إلى دراسة احتمالات حدوث تلك التجربة عمليًا ..

وجاءت النتائج مدهشة ..

معظم العلماء أكَّدوا أن الأمر قابل للحدوث ، من الناحية العلمية ، إذا ما أمكن توليد حقل كهرومغنطيسى فائق ، حول جسم ما ، مع الاستعانة بقوة الجاذبية الأرضية ، والرنين البالغ ، ولكن هذا لا يمكن أن يصلح ، من الناحية العلمية ، بالنسبة للبشر والكائنات الحية ..

فالهدف من التجربة ، هو كسر الانعكاسات الضوئية ، والوصول بمعامل الانكسار إلى الصفر ، بحيث تعبر الأشعة من خلال الجسم مباشرة ، على نحو يجعله غير مرئى ..

ولو حدث هذا مع البشر ، فسيعنى أن الضوء لن يسقط أو يستقر عند شبكية العين ..

وهذا يعنى أن يصاب الإنسان بالعمى التام ، فلا يرى من حوله سوى ظلام دامس ..

بل ، وكتب أحد العلماء مقالاً ، يؤكِّد فيه أن النظرية نفسها ، تجعل قصة (الرجل الخفى) ، للكاتب الشهير (هربرت جورج ويلز) مجرَّد عبث غير علمى ، باعتبار أن ذلك الرجل سيصبح أعمى ، يحتاج إلى من يمد له يد المساعدة ، خلال فترة اختفائه ..

وخلال تلك الفترة ، انتبه (جون كارنبتر) إلى حقيقة مدهشة ، لم يحاول استغلالها قط ، وهو يشن حملته هذه ؛ لإثبات حدوث تجربة (فيلادلفيا) الرهيبة ..

(ألبرت أينشتين) ..

فشهادة (فيليب دوران) ، فى بداية الأحداث ، كانت تشير إلى أن (أينشتين) بنفسه كان يشرف على تلك المولدات المغنطيسية ، فى ساحة البحرية فى (فيلادلفيا) ، فى أثناء إجراء التجربة ، واسم شهير مثله ، كفيل بإثارة الموقف كله ، على نحو مختلف تمامًا ..

وهنا ، وحتى لا يتورَّط (جون) فيما يمكن أن يدينه قانونًا ، راح يجرى بعض الأبحاث ، حول حياة وعمل (ألبرت أينشتين) ..

وكانت النتائج رائعة ..

ففى عام ١٩٤٠م ، نشر (أينشتين) نظرية (الحقل الموحَّد) لأوَّل مرة ، ثم تم تعيينه فى البحرية الأمريكية ، كعالم له شأنه ، من ٣١ مايو ١٩٤٣م ، وحتى ٣٠ يونيو ١٩٤٤م ، وكأنما كانت البحرية تحتاج إلى وجوده الرسمى ، فى هذه الفترة بالتحديد ..

والأهم أن (أينشتين) قد نقل مكتبه فى البحرية إلى (فيلادلفيا) ، كما تقول الوثائق الرسمية ، من ١٨ سبتمبر ١٩٤٣م ، وحتى ٣٠ أكتوبر من العام نفسه ..

ولكن الأكثر خطورة هو أن (أينشتين) قد أعلن ، منذ عامين فحسب ، ردًّا على بعض معارضى نظريته ، أن لديه نتائج تجريبية مقنعة للغاية ، عن العلاقة بين القوى الكهرومغنطيسية والجاذبية الأرضية ، وإن لم يجد بعد دليلاً رياضيًا على هذا ، مما يوحى بأنه قد شاهد تجربة عملية ، تؤكِّد هذا ..

ووفقًا للتواريخ والملابسات ، لا بد أن تكون هذه هى تجربة (فيلادلفيا) ..

ومع نشر هذا الأمر ، قامت الدنيا ولم تقعد ؛ نظرًا لوجود اسم (أينشتين) هذه المرة ، مرتبطًا بالتجربة الرهيبة ..

واندفع جيش الصحفيين نحو (ألبرت أينشتين) هذه المرة ، وهو يمنى نفسه بالحصول على سيل من المعلومات ، من هذا العالم العبقرى البسيط ..

ولكن كانت فى انتظارهم جميعًا مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

ومؤلمة .. بحق ؟

★ ★ ★

٥ ـ الحســـم ..

● ما إن ظهر اسم (ألبرت أينشتين) ، فى مقالات (جون كارنبتر) ، حول تجربة (فيلادلفيا) ، حتى انتعش الأمر مرة أخرى ، فى العقول والقلوب ، واندفع الصحفيون ورجال الإعلام ، يبحثون عن العالم العبقرى ؛ لسؤاله عن دوره فى تلك التجربة ، التى حاولت البحرية الأمريكية من خلالها ، إخفاء سفينة حربية كاملة ، بكل معداتها وكامل طاقمها ، عن الأعين المجرَّدة ، وعن تلك النتائج غير المتوقَّعة ، التى كادت تصيب الطاقم كله بالجنون ..

ولكن (أينشتين) لم يجب أى سؤال من أسئلتهم ؛ لأنه عندما وصلوا إلى منزله ، كان قد غادر الحياة كلها ، ومات فى هدوء ، فى عام ١٩٥٥م ..

ومع رحيل (أينشتين) ، فى هذا التوقيت الدقيق جدًّا ، خبت الحماسة فجأة ، بشأن تجربة (فيلادلفيا) ، ولم يعد أحد يتابع أخبارها أو حتى المقالات الحماسية ، التى يكتبها (جون) عنها ..

ومع الوقت ، نسى (جون) نفسه الأمر ، وبدأ يستغل شهرته فى إلقاء المحاضرات ، وإقامة الندوات ، وسرعان ما تزوَّج ، وانشغل بعائلته الجديدة عن الأمر كله ..

وفى أوائل الستينات ، فوجئ الكل بعالم فيزيائى جليل ، وهو (فرانكلينى راينهارت) ، يقول فى حديث تليفزيونى مذاع ، على الهواء مباشرة :

- (أينشتين) كان يعرف جيِّدًا تجربة (فيلادلفيا) وكان يعمل فيها ، منذ عام ١٩٤٠م ، مع البروفيسير (رودلف لارنبرج) ، ولقد طلبا منى معاونتهما فى مشروع يتعلّق باستخدام الحقول الكهرومغنطيسية القوية ؛ لإحاطة السفن والمدمرات الحربية بغلاف واق ، يؤدى إلى انحراف الطوربيدات بعيدًا عنها .. ولقد بدأنا العمل فى ذلك المشروع بالفعل ، ثم لم نلبث أن طوّرنا الفكرة ، إلى إطلاق الحقل الكهرومغنطيسى فى الهواء ، بدلاً من الماء ؛ لإخفاء السفن بصريًا ، وكل ما كان يقلقنا هو الآثار الجانبية ، التى قد تحدث ، نتيجة للتجربة ، وكان من ضمنها احتمال غليان الماء ، أو تأيُّن الهواء حول السفينة ، أو أى من تلك الأمور ، التى تؤدّى إلى حالة من عدم الاستقرار ، إلا أن أحدًا منا ، حتى (أينشتين) نفسه ، لم يفكّر فى احتمالات إحلال الكتلة والتداخل بين الأبعاد .

عبارة البروفيسير (راينهارت) الأخيرة لم تكن مفهومة للعامة ، ولكنها أثارت فى العقول احتمالاً جديدًا ، لم يخطر ببال أحد أبدًا ، طوال فترة الحديث عن تجربة (فيلادلفيا) ..

تُرى هل تسببت التجربة فى حدوث فجوة بين الأبعاد المختلفة ، أم أنها قد فتحت بوّابة إلى عالم آخر ؟!

احتمالات بدت أشبه بالخيال العلمى ، على الرغم من علميتها المطلقة ..

ولقد حاول الصحفيون الاستفسار عما قاله الدكتور (راينهارت) ومعرفة ما الذى كان يعنيه بمصطلحى (إحلال الكتلة) ، و(التداخل بين الأبعاد) !!

ولكن (راينهارت) أيضًا لم يجب عن أسئلتهم ؛ لأنه لقى حتفه فى حادث سيارة مروِّع ، تمزَّق معه جسده تمامًا ..

وهنا ، وعلى الرغم من عدم التصريح بهذا ، اتجهت أصابع الاتهام الصامتة إلى السلطات الحكومية ، وإلى القوات البحرية الأمريكية بالتحديد ، باعتبارها المسئولة عن مصرع (راينهارت) ، كمحاولة منها لإخراس الألسنة ، التى تلوك موضوع تجربة (فيلادلفيا) الرهيبة ، ومحو أية أدلة ، مادية أو بشرية ، خاصة وأن (فيليب دوران) قد اختفى فى ظروف غامضة ، بعد خروجه من ذلك المقهى البسيط ، على حدود (نيو جيرسى) ، فى حين تم تعيين البروفيسير (ألند) فى المخابرات المركزية ، بحيث يخضع لقانون السرية ، الذى يحظر عليه الكلام فى الأمر ، أو فى أية أمور أخرى ، تتعلَّق بالأمن القومى ..

وأدرك الكل ، وعلى رأسهم (جون كارنبتر) نفسه ، أن الأمر يتجاوز حدود قدراتهم ، فلاذوا بالصمت التام ، باعتبار أن حياتهم أغلى من البحث عن حقيقة تجربة فاشلة ، أيًّا كانت معطياتها ..

ومرَّت السنوات فى هدوء ، وأصدر (تشارلز بيرلتز) كتابًا شهيرًا عن تجربة (فيلادلفيا) ، فى أوائل السبعينات ، بدا وكأنه

آخر قول فى هذا الأمر ، الذى انخفض الاهتمام به ، وتحوّل إلى شبه أسطورة غامضة ، تمامًا مثل (مثلث برمودا) ، و(الأطباق الطائرة) ، و(وحش بحيرة لوخ نيس) وغيرها ..

ثم مات الدكتور (جيسوب) عام ١٩٧٣م ، آخر من ارتبط اسمه ، من العلماء بتجربة (فيلادلفيا) ..

وتنفَّس قادة البحرية الأمريكية الصعداء ، باعتبار أن هذا يحسم الأمر تمامًا ، بعد سنوات من الشد والجذب ..

ولكن (جيسوب) كان قد ترك وراءه مفاجأة غير سارة لهم ..

مفاجأة تتمثَّل فى خطاب بخط يده ، تركه لدى محاميه ، وطلب تسليمه إلى (جون كارنبتر) بعد وفاته ..

وفى رسالته ، قال (جيسوب) :

ـ تجربة (فيلادلفيا) كانت كارثة حقيقية بكل المقاييس ، ولقد تنبأت بفشلها ، قبل حتى أن تبدأ ؛ فقد اعتمد فيها (أينشتين) على نظرية (الحقل الموحَّد) ، التى أعارضها بشدة ، وعلى مزج المجال الكهرومغنطيسى بالجاذبية الأرضية ، مع إشعاع نووى محدود ، والواقع أننى قد التقيت ببعض ضباط وعلماء البحرية ، حول هذا الأمر ، وأخبرتهم أنها تجربة مهمة بحق ، ولكنها بالغة الخطورة ، وقاسية جدًّا على المتورطين فيها ، والذين سيتعرضون إلى رنين مغنطيسى هائل ، وهذا يعادل ما يمكن أن نُطلق عليه

الطمس المؤقّت للبعد ، الذى نحيا فيه .. شىء يخرج عن نطاق السيطرة ، ويمكن أن يؤدّى إلى اختراق بعدنا إلى مستوى آخر ، أو بعد آخر .. ولكنهم لم يستمعوا إلىَّ .. ربما لأننى أقل شهرة من (أينشتين) ، الذى يعتبرونه أسطورة فى الفيزياء .. المهم أن التجربة قد أجريت ، ونجح (أينشتين) فى إثبات العلاقة بين أنواع الطاقة وحقول القوى المختلفة ، وأكّد صحة الجزء الخاص بالاندماج ، فى نظريته للحقل الموحَّد ؛ إذ اختفت السفينة بالفعل ، ولكن الحقل تسبَّب فى خلق منطقة مضطربة ، بدلاً من الغياب الكامل للألوان ، كما أن وجود أفراد الطاقم المساكين ، داخل حقل عنيف للطاقة ، أصابهم باضطرابات وهلاوس عنيفة ، حتى إننا كنا نسمع صراخهم المذعور ، خلال الدقّائق القليلة ، التى اختفت فيها السفينة ، كما لو أن أحدًا داخلها يذبحهم كالنعاج ..

وفى نهاية خطابه ، كتب (جيسوب) ، وكأنه يعتذر عن اشتراكه فى التجربة الرهيبة :

ـ وأيًّا كانت النتائج ، أو حتى الفوائد المرجوة من هذه التجربة ، فلم يكن من الجيِّد أبدًا أن أسمح لهم بإجرائها ، أو أشارك فيها .. تقبَّلوا أسفى .

ونشر (جون) رسالة (جيسوب) ، ثم استقلّ سيارته ؛ للعودة إلى منزله ..

ولكنه لم يصل إليه أبدًا ..

لقد اختفى (جون كارنبتر) ، واختفت معه رسالة (جيسوب) الأصلية إلى الأبد ، دون أن تتوصَّل التحقيقات الكثيفة ، التى أجرتها الشرطة ، إلى جثته ، أو حطام سيارته ، أو أدنى أثر له ..

بل ودون أى سبب ، سوى أنه قد تجاوز حدوده ، فى السعى خلف تجربة (فيلادلفيا) ، والعمل على سبر أغوارها ، وكشف أسرارها ..

وباختفاء (جون كارنبتر) ، أسدل الستار على تلك التجربة المذهلة ، ولم يعد هناك من يتحدَّث عنها ..

بجدية على الأقل ..

وعلى الرغم من أن كتاب (تشارلز بيرلتز) قد صدر فى ثلاث عشرة طبعة ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، إلا أن الاهتمام بتجربة (فيلادلفيا) قد تناقص عمليًّا ، حتى اقتصر على قراءتها ، والانبهار بما حققته ، نظريًّا على الأقل ..

وما زال هناك علماء يصرون على أن هذا ممكن ..

وآخرون يستنكرون حدوثه بشدة ..

وما زالت هناك عشرات الأسئلة المطروحة ..

هل حدثت تجربة (فيلادلفيا) بالفعل ؟!

وماذا كانت نتائجها بالضبط ؟!

ولماذا التستر الشديد عليها ؟!

صحيح أن أحدًا لا يعرف جواب تلك الأسئلة ، ولا حتى الاسم الحقيقى للتجربة ، فى ملفات البحرية الأمريكية السرية ، ولكنها تحولت فى الأذهان إلى أسطورة غامضة ..

أسطورة حدثت فى (فيلادلفيا) ، فى أكتوبر ١٩٤٣م ..

أسطورة تجربة ..

رهيبة ..

جدًّا ؟

* * *

تمت بحمد الله

ويأتى الغد ..

(خواطر)

جاء الليل ..

ويا للمرار !!

عشنا نحلم سنوات وسنوات بقدوم القرن الحادى والعشرين ، الذى تصوَّرنا أنه سيحمل لنا كل الخير والرخاء والنماء ، بافتراض أن هذا ناتج طبيعى للتطوّر البشرى ..

ليس التطوّر التقنى ، والصناعى ، والاقتصادى ، وحتى الحربى فحسب ..

ولكن التطوّر الإنسانى أيضًا ..

فالعقل والمنطق يؤكدان أنه كلما زاد علم المرء وثقافته ، زادت معهما مشاعره البشرية والإنسانية ..

ورقت ..

وتطوَّرت ..

تخيلنا أن تطوّر الإنسان سيزيل من نفسه كل الفردية ..

كل الأنانية ..

كل الوحشية ..

تصوَّرنا أنه سيجعل منـه كائنًا راقيًا ، يحمى حقوقه ، وحقـوق الآخرين ..

يدافع عن حريته ..

وحرية الآخرين ..

ولكـن القـرن الحـادى والعشـرين جـاء مختلفًـا تمامًـا عمـا تصوَّرناه ، وتخيلناه ، وافترضناه أيضًا ..

جاء مع أزمات اقتصادية ..

ومشكلات سياسية ..

وتطاحنات دولية ..

ثم تطوَّرت الأمور بسرعة ، منذ عامه الأول ؛ لتواجه (أمريكا) أوَّل ضربة داخلية فى تاريخها ..

الضربة التى أفقدتها صوابها ..

وعقيدتها ..

وتلك المبادئ ، التى ظلَّت تدّعى تمسكُها بها ..

وقبل أن يمضى العام الثالث ، من القرن الحادى والعشـرين ، كـانت (أمريكا) ، دولة القطب الواحد ، قد تحولّت إلى وحش شرس مسعور ، انطلق ليسحق كل مبادئ وقيم وقواعد الدنيا بضربة واحدة ..

ضربة أعلنت أن القرن الحادى والعشرين لن يصبح قرن الخير والنماء ..

بل قرن الاستعمار ..

الاستعمار البغيض ، بأقصى وأسوأ صوره ..

وأريقت الدماء أنهارًا فى (العراق) ..

أريقت ، دون أدنى رحمة أو شفقة ..

أريقت لتراق معها كل القواعد ..

وكل القوانين ..

وبلا هوادة ..

وقبل حتى أن يستقر الموقف هناك ، كانت الوحشية تتجه إلى (سوريا) ..

وحشية من تصوَّر أنه لم يعد له رادع ولا محدّ ..

كل هذا لأننا لم نتصوَّر أبدًا قدوم مثل هذا اليوم ..

ولم نستعد أبدًا ..

لم نعد ما استطعنا من قوة ..

أو من رباط الخيل ..

انشغلنا فى صراعات سخيفة ، واختلفنا حول قشور سطحية ، لن تعلى شأن أى دين فى الوجود ، ونسينا أن نعد القوة ..

وأن نطوّر رباط الخيل ..

لذا فنحن نستحق الهزيمة ..

نستحق العار ..

والانكسار ..

والضياع والدمار ..

نستحق كل هذا عن جدارة ..

وسنظل نستحقه ، ما لم نتغيَّر ..

ونتطوَّر ..

ونستيقظ من غيبوبتنا هذه ..

سنظلّ فى المرتبة الأدنى ، حتى ندرك أنه ليس بالهتاف والغضب واحمرار العيون يأتى التقدُّم ..

أو يأتى النصر ..

فقط بالعقل ، والمنطق ، والتفكير ، والتدبير ..

بالإيمان الصحيح ، والتطوّر الهادئ ، وتغليب الفكر على التعصُّب ..

فقط بالحرية الصحيحة ، والتنمية المخلصة ، والاقتصاد المدروس ..

بكل هذا فقط ، ربما يكون هناك أمل ، لو عدونا بأقصى سرعتنا ، للحاق بكل ما فقدناه ، ونحن نتشاجر ، ونتناحر ، ونتجادل ، حول أمور سطحية ، شكلية مرهقة ..

أقول ربما ..

أما لو ظللنا كما نحن ..

لو أصررنا بعناد طفولى سخيف على أننا الأفضل ، وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ..

لو تخيلنا أنه من الممكن ، تحت أى مقياس فى الوجود ، ألا نبذل أدنى جهد للتفوّق ، ثم نفوز بالمركز الأوّل !!

لو ظللنا هكذا ، فهنيئًا لنا بالمركز الأخير ..

ولننعم بالعبودية والذل ، تحت نير محتل ، فعل كل ما دعانا ديننا لفعله ، فانشغلنا عنه بصراعات القشور ..

وليعلم الكل ، أن إيمان الدنيا كله ، ووجود أشرف الخلق نفسه ، لم يكف للانتصار فى غزوة (أحد) ..

ربما يكفى لدخول الجنة ..

ولكنه لا يكفى للنصر فى الدنيا ..

ففى الدنيـا ، يربح من يتبع القواعد ، وينفـذ التعليمات ، ويواجه كل شىء بالواقع ، والفكر ، والهدوء ..

والوقت لم يفت بعد ..

فالليل مهما طال ، لا بد أن ينجلى ..

فلنبـدأ معًـا ، ولنغيِّر مـا بأنفسـنا ، حتـى يغـيِّر اللّـه (سـبحانه وتعالى) ما بنا ..

عندئذ سنتطوَّر ..

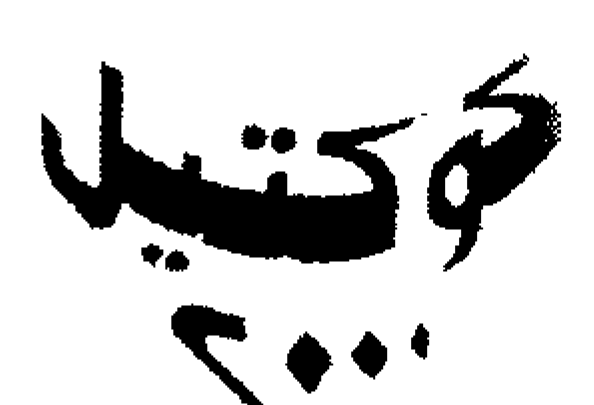
ونتقدَّم ..

ويأتى النصر ..

ويأتى الغد ..

عندئذ فقط؟

★ ★ ★



روايات مصرية للجيب

حبيبي

٢ ـ أوَّل حب

(دراسة)






إهداء
إليك
أنا

٢ ـ أول حب ..

فـى حداثتـى ، ومـع بدايـة توغُلـى فـى عـالم الروايـة المصريـة السـاحر ، جذبتنـى بشـدة عبـارة قصـيرة ، أوردهـا الأديـب الأسـتاذ (إحسـان عبـد القـدوس) ، فـى بدايـة روايتـه الشـهيرة (الوسـادة الخالية) ، التى تحولّت إلى فيلم أكثر شهرة ..

« فى حياة كل منا وهم كبير ، يسمى : الحب الأوَّل .. لا تصدق هذا الوهم .. إن حبك الأوَّل هو حبك الأخير !! » ..

أيامهـا بـالطبع لـم أتوقَّـف طويــلاً أمـام العبـارة ، ولـم أحـاول مناقشـتها أو تفنيدهـا ؛ فمـا دام الأسـتاذ (إحسـان) كتبهـا ، فهـى صحيحة حتمًا !!

ثم مرَّت بى الأيام ، وأصابنى ما يصيب كل شباب الدنيا ..

أحببت ..

أحببـت حبـى الأوَّل ، وعشــت فيــه بكـل كيـانى ، وجوارحــى ، وعواطفى ، وحتى أحلامى ..

فى ذلك الحين فقدت التمييز ، بين خفقات قلبى ، ونبضات حبى ..

ولفـترة طويلـة ، خلتهمـا قـد امتزجـا ، واختلطـا ، وصـارا كيانًـا واحدًا لا ينفصم ..

وكلما وقع بصرى على محبوبتى ـ آنذاك ـ كان قلبى يصرخ بحبها ، وأطرافى ترتجف بعشقها ، وأنفاسى لا تتنسَّم سوى هواها ..

فقط هواها ..

وتصوَّرت أن ذلك الحب سيبقى فى قلبى إلى الأبد ، ولن يفارقه لحظة واحدة ، ما دام فى صدرى نفس يتردَّد ..

ولأن الظروف لم تكن تجمعنى بحبيبة قلبى الصغير ، إلا لمدة شهر واحد كل عام ، فقد كنت أقضى الأحد عشر شهرًا الأخرى فى وله ، وهيام ، وأحلام ، وخيال يرسم ألف صورة وصورة للقاء المرتقب ، مع نسمات الصيف القادمة ..

والطريف أن كل هذا كان يدور فى أعماقى وحدى ؛ لأن محبوبتى لم تكن تفكِّر حتمًا بالأسلوب نفسه ..

ولا بالعاطفة نفسها ..

صحيح أن ابتسامة كبيرة كانت تملأ وجهها كلما التقينا ، ولكنها نفس الابتسامة ، التى كانت تمنحها للآخرين ، ذكورًا كانوا أم إناثًا ..

ابتسامة عذبة ، طيبة ، هادئة ، كانت أوَّل ما خلب لبى بشأنها ..

ولست أدرى حتى كيف ذهب كل هذا !!

كيف تبخَّر الحب كله دفعة واحدة ، ما بين صيف وآخر !!

كل ما أذكره هو أننى قد استيقظت فجأة ، فى ليلة من ليالى الشتاء ؛ لأجد نفسى غارقًا فى حب أخرى ، يفصلها عن منزلى شارع واحد ..

وهذه ليست سيرة ذاتية ، بقدر ما هى صورة لما يكون عليه قلب أى شاب صغير ، وهو يخوض تجربة حبه الأولى ..

ولقد تطوَّرت شخصيتى ، ودخلت عليها عشرات التعديلات ، خلال سنوات عمرى ، التى تجاوزت الأربعين ، والتى شهدت عدة صور من الحب ، قبل أن أتوقَّف ذات يوم ، وأعيد قراءة عبارة الأستاذ (إحسان عبد القدوس) ، مرة ثانية ..

وفى تلك المرة الثانية ، وجدت نفسى أقف أمام العبارة حائرًا بحق ..

فما الذى يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط ؟!

أمن المحتم حقًّا أن يكون الحب الأوَّل مجرَّد وهم ؟!

ثم ماذا عن الحب الأخير ؟!

ما المقصود بأن الحب الأوَّل هو الحب الأخير ؟!

العبارة ، من الناحية اللغوية ، تقبل معنيين متناقضين تمامًا ..

فمن الممكن أن تعنى العبارة أن الحب الوحيد الصادق ، فى حياة كل مخلوق ، هو حبه الفطرى الأوّل ، والذى يتم بتلقائية وحرارة ، على نحو لا يمكن أن يتوافر فى أى حب تال ، مهما بلغت قوته ؛ إذ إنه الخفقة الأولى ، فى قلب كل محب ، والتى تقفز به ، من عالم الطفولة ، إلى عالم الصبا والشباب واقتحام الحياة ..

باختصار ، الحب الأوّل وحده الذى ينتزع عذرية القلب ، على نحو لا يتكرَّر ، ولا يمكن أن يتكرَّر قط ..

أو أن العبارة تعنى أن الحب الأوّل هو الحب الحقيقى ، الذى استقر أخيرًا فى الوجدان ، وتغلغل فى الكيان ، بعد أن اختبر القلب الدنيا ، وخاض تجاربها ، ثم أدرك فى النهاية ما هو الحب ؟!

وكيف يحب !

ومتى يدرك أنه أحب ..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ما زلت عاجزًا عن الجزم ، بما كان يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط من عبارته ؛ إذ إنه وحده ـ رحمه الله ـ كان باستطاعته تحديد ما يرمى إليه ..

ولكننى ، وحتمًا ، وبكل ثقة ، أختلف مع أستاذى تمامًا ، فى اعتبار أن الحب الأوَّل مجرَّد وهم ..

الحب الأوَّل هو أول حب ..

ربما ينسى المرء من أحبها ، أو تنسى الواحدة من أحبته ، بعد أن يفصلهما القدر لسنوات وسنوات ، ولكنهما لو التقيا لحظة واحدة ، لانزاحت فى رأس كل منهما كل ذكريات الدنيا ، فيما عدا أن من أمام كل منهما حبه الأوَّل ..

ربما يفتقر إلى العوامل القوية ، اللازمة لبقاء واستمرار أى حب ..

ولكنه لن يصبح أبدًا أى حب ..

إنه أوَّل حب ..

وما من قوة ، يمكنها أن تنتزع عنه هذا اللقب أبدًا ..

هذا لا يعنى بالطبع أنه سيستمر ، أو يبقى ، أو حتى يترك أثرًا فى قلب صاحبه ، ولكن من المؤكَّد أنه لن يمضى دون أن يترك خلفه ما يرشد إليه ، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا ..

ربما يترك ضحكة ..

أو ابتسامة ..

أو حتى لمحة حزن ..

المهم أنه لن يذهب أبدًا ..

فتشوا فى أعماقكم بصدق وإخلاص ، وستكشفون أننى على حق ..

حبكم الأوَّل هناك ، فى بؤرة مظلمة من أعمق أعماق قلبكم ، ينزوى هناك صامتًا ؛ لأنكم تخشون مجرَّد استرجاعه ، حتى لا يفسد هذا حبكم الحالى ..

أو حتى القادم ..

وأوَّل حب فى حياة الإنسان يمنحه نشوة ما بعدها نشوة فى حينه ، ثم ينتهى دومًا على نحو مباغت ، أو غير متوقَّع ..

ففجأة ، يرتبط الطرف الثانى بآخر ..

أو يبتعد ..

أو حتى ينتقل إلى مكان آخر ..

المهم أن أوَّل حب لا يمكن أن يستمر ، إلا فى حالات بالغة الندرة ، إلى حد يكاد يقارب المستحيل !

وهذا أمر حتمى ، حتى تستمر الحياة وتتواصل ..

لا بد أن يتجاوز الشخص ـ أى شخص ـ محنة الحب الأوَّل هذه ، فالأشخاص الذين يعيشونها أكثر مما ينبغى ، تصيبهم العقد النفسية ، والمنغصات المعنوية ، ويبدأ حاضرهم ومستقبلهم فى التآكل رويدًا رويدًا ، فلا يعود لهم من حياتهم كلها سوى الماضى .. والماضى وحده ..

وما لا يدركه هؤلاء المساكين هو أن مشكلة الحب الأوَّل الرئيسية هى المقاييس والمعايير ..

فالمقاييس التى يتم اختيار المحبوب الأوَّل بها ، تتناسب حتمًا مع العمر الذى يتم فيه هذا الاختيار ..

ومع معايير مرحلة المراهقة ..

فمع تفتُّح زهرة القلب لأوَّل حب ، تنتبه العين إلى المعايير الشكلية فى المقام الأوَّل .. وتنبهر بسرعة ..

تنبهر بالجمال ، والوسامة ، ولون العينين ، ونعومة الشعر ..

لهذا نجد أن المراهق ينشغل دومًا بالجميلات ، والمراهقة تهيم عشقًا بكل وسيم ..

ولهذا أيضًا يبدأ الشباب فجأة فى الاهتمام بشكلهم الخارجى ، ورائحتهم ، وحلاوتهم ، وحتى خفة ظلهم ..

ولأن مقاييس الاختيار هنا سطحية ومباشرة أكثر مما ينبغى ، فمن غير المنطقى أو العملى أن يتواصل هذا الحب أو يستمر ..

حتمًا سينهار وينتهى ، مع أوّل شعاع من شمس النضج ..

أو حتى يتفتت تحت وطأة شكل أكثر وسامة ، أو وجه أكثر جمالاً وحلاوة ..

وهنا يتلقّى القلب أوّل صدمة عاطفية ..

صدمة فشل الحب ..

أو بمعنى أكثر دقة ، صدمة حقيقة ذلك الحب الهش ..

ورد الفعل هنا مهم جدًّا ..

وخطير جدًّا ..

فقليلون هم من يتجاوزون هذه الصدمة بسرعة ، ويلقونها خلف ظهورهم ، ويمضون فى حياتهم ؛ ليغسلوا جراح أول حب ، إما بحب آخر ، أو بعمل وجهد ونشاط ..

أما الغالبية العظمى ، فتقضى وقتًا طويلاً ، فى البكاء على الحب الوهمى الضائع ، والعاطفة الزائفة المسكوبة ..

وبعد فترة ـ تطول أو تقصر ـ تتجاوز النسبة الأعظم ، من المجموعة الأخيرة هذه المحنة ..

أما من يتبقَّى ، فهو الضحية التى تستحق الرثاء بحق ..

الضحية التى ترفض الخروج من المحنة ، وتتشبَّث بها ، وتمضى شطرًا طويلاً من عمرها فى البكاء ، والغضب ، والنقمة على الطرف الآخر ، الذى لم يدر أبدًا ـ ربما ـ ما دار فى قلبها يومًا ما ..

الضحية التى تهدر حاضرها ومستقبلها ، من أجل حب وهمى مضى ، فتنقم ، وتحزن ، وتثور ، بل وربما تخطِّط لانتقام ما أيضًا ..

وكل هذا خطأ فى خطأ ..

هذا لأن أوَّل حب هو مجرَّد تجربة لنبض القلب ، وتحرير المشاعر ، وإشعال العواطف والأحاسيس ..

ولكنه ليس نهاية الحياة ..

إنه فقط البداية ..

البداية لقلب جديد ، تجاوز على التو مرحلة مرح وعبث الطفولة ، ووثب منها إلى مرحلة شباب وانطلاق وحرارة ..

مرحلة يأتى فيها حتمًا حب آخر ..

وآخر ..

وآخر ..

وكلما مضت أيام العمر ، اختلفت مقاييس ومعايير الحب ، وظهرت للقلب أنواع جديدة ، وألوان جديدة من الحب ، و...

ولهذا حديث آخر ؟

★ ★ ★

تابع فى الكتب القادمة إن شاء الله


كوكتيل ٢٠٠٠
روايات مصرية للجيب
قصة العدد
الرحلة
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ الملك ..

« انتصرنا .. »

أطلق ملك تلك البلاد البعيدة الهتاف ، فى قوة وزهو وظفر ، وهو يلوِّح بسيفه فى الهواء ، فوق قمة قصره المنيف ، فتفجَّرت الحماسة فى قلوب وخناجر فرسانه ، وَأطلقوا صيحات النصر بدورهم ، على نحو ارتجَّت له جوانب المكان ، وتألَّقت معه عينا الملك ، وهو يلتفت إلى مستشاره الخاص ، قائلاً :

ـ أخيرًا يا (هولان) .

ابتسم المستشار فى رصانة ، قائلاً :

ـ أخيرًا يا مولاى .

لوَّح الملك بسيفه إلى فرسانه مرة أخيرة ، قبل أن يعيد السيف إلى غمده ويضع يده على كتف مستشاره فى مودَّة ، قائلاً ، وهو يقوده إلى الداخل :

ـ من يصدِّق أن تلك الحرب ، التى خاضها أجدادى وآبائى ، قد وضعت أوزارها أخيرًا ؛ لتمنحنا فوزًا ، طال اشتياقنا إليه .

غمغم المستشار بنفس الرصانة :

ـ لكل شىء نهاية ، مهما طال الزمن يا مولاى .

وافقه الملك بإيماءة من رأسه ، وتنهيدة حارة ، انطلقت من أعمق أعماق صدره ، قبل أن يستقرّ على عرشه ، قائلاً :

ـ كانت رحلة طويلة للغاية يا (هولان) .. رحلة استهلكت كل مواردنا ، ولن تكون عملية إعادة البناء بأهون من الحرب نفسها .

قال المستشار في هدوء :

ـ لكل رحلة بداية يا مولاى !

حاول الملك أن يسترخى على عرشه اللامع ، وهو يقول :

ـ نعم يا (هولان) .. لكل رحلة بداية .. لكل رحلة ..

لم يكد الملك يتم قوله ، حتى دلف حاجبه إلى المكان ، وانحنى ، قائلاً :

ـ مولاى .. القادة والنبلاء يودون تهنئتكم بالنصر ، ويطلبون الإذن ؛ للمثول بين أيديكم .

أشار إليه الملك بإرهاق واضح ، قائلاً :

ـ ليس الآن .. أخبرهم أن مولاهم يرغب فى الحصول على قسط من النوم والراحة أوّلاً ، وأنه سيستقبلهم مع مغيب الشمس ..

انحنى الحاجب مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ أمر مولاى .

ثم اعتدل ، وتوقَّف متردِّدًا ، على نحو جعل (هولان) يقول فى صرامة :

ـ لِمَ لَمْ تنصرف يا هذا ؟

بدا الحاجب متوترًا مرتبكًا ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيِّدى المستشار .. معذرة يا مولاى الملك ، ولكن هناك أمر آخر .

اعتدل الملك على عرشه فى دهشة ، قبل أن يقول فى غضب صارم :

ـ أى أمر هذا ، الذى يدفعك إلى عدم طاعة أمر مولاك ؟!

أسرع الحاجب يقول ، فى توتر بلا حدود :

ـ معذرة يا مولاى ، ولكن هناك غريب يلح فى طلب مقابلتكم ، ويقول : إن الأمر عاجل للغاية .

هتف به (هولان) فى غضب :

ـ كيف تجرؤ أيها الـ ...

اندفع الحاجب بغتة نحو الملك ، ووضع فى يده جسمًا لامعًا ، وهو يقول فى ذعر وارتياع :

ـ سامحنى يا مولاى ، ولكن ذلك الغريب طلب منى أن أعطيكم هذا ، وأكَّد لى أنكم ستوافقون على مقابلته فورًا ، إذا ما طالعتموه .

انعقد حاجبا (هولان) فى غضب هادر ، فى حين اعتدل الملك على عرشه ، وتطلّع إلى ذلك الجسم اللامع فى حيرة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ وما هذا الشىء بالضبط ؟!

استدار (هولان) فى فضول ، يتطلّع إلى ذلك الجسم اللامع ، الذى امتدّت إليه أصابع الملك فى حذر ، و ...

« مولاى .. امنحنى شرف مقابلتك .. »

انبعثت العبارة فجأة ، من ذلك الجسم اللامع ، فانتفض جسد الملك فى عنف ، وهبّ من عرشه ، بكل توتر الدنيا ، فى حين تراجع (هولان) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ أى سحر هذا ؟!

سقط الجسم اللامع أرضًا ، وتدحرج بصوت مزعج ، على الأرض المصقولة ، قبل أن يستقر عند قدمى (هولان) ، وذلك الصوت ينبعث منه ، قائلاً :

ـ هذا ليس سحرًا يا مولاى .. إنه جزء من تلك الكنوز الرهيبة ، التى تنتظر من يكشف عنها الغطاء ، فى الجانب الآخر من العالم ..

حدّق الملك و(هولان) فى ذلك الجسم اللامع ، فى مزيج من الدهشة والارتياع ، فى حين ارتجف جسد الحاجب وصوته ، وهو يقول :

ـ إنه فى الخارج ، ينتظر سماحكم له بالدخول يا مولاى .

رفع الملـك عينيـه المذعورتين إلى (هولان) ، الـذى بذل جهـدًا خرافيًا ، للسيطرة على انفعالاتـه ، وهـو ينقل بصـره بيـن الملـك ، والحاجب ، وذلك الجسم اللامع ، الذى توقّف انبعاث الصوت منـه ، قبـل أن يتنحنح فى توتر ، محاولاً السيطرة على أعصـابه وصفـاء ذهنه ، ثم يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ أظن أنه من الحكمة أن تلتقى به يا مولاى .

قال الملك فى توتر :

ـ ولكن ماذا لو أنه ساحر ، أرسـله الأعداء لاغتيـالى ، بعد أن أحرزت النصر عليهم ؟!

استدار (هولان) إلى الحاجب ، قائلاً :

ـ أدخله ، فى حراسة ثلاثة من أقوى قادة الجند وأشدّهم .

انحنى الحاجب ، بكل توتر الدنيا ، وهو يتراجع ، قائلاً :

ـ أمرك يا سيّدى المستشار .. أمرك يا مولاى .

اعتدل الملك ، وتطلّع لحظة إلـى (هولان) فـى توتـر ، قبل أن يعود إلى عرشه ، ويجلس فوقه معتدلاً ، قائلاً فى حزم :

ـ ينبغى أن يلتقى بنا ، ونحن فى ذروة القوة والظفر .

انحنى (هولان) يلتقط الجسم اللامع فى حذر ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا مولاى .. بالتأكيد .

كان يقلّب ذلك الجسم بين أصابعه فى حيرة ، عندما دلف قادة الحرس الثلاثة الأقوياء إلى المكان ، يحيطون بذلك الغريب ..

وانعقد حاجبا الملك فى شدة وتوتر ، فى حين تفجَّر ألف سؤال وسؤال ، فى عقل المستشار (هولان) ، وهو يحدِّق فيه ..

فعلى الرغم من أن جسد الرجل بدا طبيعيًّا إلى حد كبير ، إلا أن وجهه ورأسه بدوا مختلفين ، على نحو واضح ..

كان الرأس أصغر مما ينبغى ، فى حين كانت البشرة داكنة ، على نحو غير معتاد ، والعينان صغيرتان ضيقتان ، بصورة غير مألوفة ..

ولثوان ، حدَّق الاثنان فى ذلك الغريب ، دون أن ينبسا ببنت شفة ، فى حين انحنى هو نصف انحناءة فى احترام ، وهو يقول :

ـ (ربَّان) فى خدمتك يا مولاى .

انعقد حاجبا الملك أكثر ، فى حين قال (هولان) فى صرامة :

ـ ملامحك ولهجتك تقولان : إنك لست منا يا هذا .

اعتدل الغريب ، وهو يشير بيده ، قائلاً فى احترام :

ـ الواقع أننى من بلاد بعيدة .. بعيدة جدًّا أيها الحكيم (هولان) ، ولكننى أتيت مسالمًا ؛ لأعرض خدماتى على ملك البلاد .

أراد (هولان) أن يلقى سؤالاً آخر ..

بل عشرات من الأسئلة والاستفسارات ..

ولكن الملك قال فجأة ، فى صرامة بالغة ، تشوبها لمحة من التوتر :

ـ أية خدمات تلك ، التى تنوى عرضها علينا ؟!

اعتدل الغريب ، ولوَّح بذراعيه فى حركة مسرحية ، قائلاً :

ـ فى البداية ، أحب أن أهنئك بانتصارك العظيم ، على أعداء بـلادك أيها الملـك ، وأن أؤكـد لـك تضـامنى معـك ، ومـع أهدافـك النبيلـة العادلة ، و ...

قاطعه الملك فى حدة صارمة :

ـ هات ما لديك أيها الغريب .

ابتسم الغريب ، قائلاً :

ـ (ربَّان) يا مولاى .. (ربَّان) .

عـاد حاجبـا الملـك ينعقـدان فـى حنـــق ، فقـال (هـولان) فـى صرامة :

ـ مولاك الملك يكره التطويل والاستطراد .. هات مـا لديك علـى الفور أو ...

قاطعه الغريب ، وهو يشير إلى الملك ، قائلاً :

ـ مجد عظيم ينتظرك هنـاك يا مولاى .. خلـف المحيط الكبير .. مجد وثروات بلا حدود ، ستجعل منك ملك ملوك عالمك بلا منازع .

بدا الاهتمام على وجه الملك ، وهو يعتدل على عرشه ، قائلاً :

ـ مجد وثروات بلا حدود ؟! أى قول هذا أيها الغريب ؟! الكل يعلم أنه لا يوجد خلف المحيط الكبير سوى الموت ، والخراب ، والدمار .. كل السفن ، التى أبحرت إلى هناك ، غرقت وهلكت ، وسط الظلام والضياع .. كلها بلا استثناء .

هزّ الغريب رأسه ، فى بطء وثقة ، قائلاً :

ـ صدقنى يا مولاى .. خلف المحيط الكبير توجد أرض هائلة .. أرض تحوى ثروات لا حدود لها .. ثروات عجيبة مبهرة .. أحجار متكلمة ، كتلك التى بين يدى الحكيم (هولان) ، وأخرى يمكنك أن ترى فيها ما يحدث بعيدًا عنك ، وثالثة تتيح لك التحدُّث مع الآخرين ، من مسافات هائلة ، ورابعة تصنع الثلج فى قبو قصرك ، وخامسة ، وسادسة ، وسابعة .. ثروات بلا حدود يا مولاى ، ستجعلك أعظم ملوك زمانك .

حدّق فيه الملك بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (هولان) ، ويسأله :

ـ هل يمكنك أن تصدّق هذا ؟!

قال (هولان) فى صرامة :

ـ كل هذا يبدو أشبه بالسحر .



بدا الاهتمام على وجه الملك ، وهو يعتدل على عرشه ..

ابتسم الغريب ، قائلاً :

ـ السحر يمكن ممارسته فى أى مكان ، أيها الحكيم (هولان) ، ولا توجد حاجة للانتقال عبر المحيط ، لفعل أمر كهذا .

تطلّع إليه (هولان) ، بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها الغريب ؟!

شدَّ الغريب قامته ، وهو يجيب ، فى سرعة وحزم :

ـ كل ما أريده هو سفينة واحدة ، وطاقم مختار من البحّارة ؛ لنبحر معًا عبر المحيط الكبير ، إلى تلك الأرض الجديدة .. حيث الكنوز والثروات .

سأله الملك فى حدة :

ـ هل تطلب منا أن نضحّى بسفينة جديدة ، وبطاقم من أفضل بحارتنا ؛ من أجل ما لا يمكن إثباته ، أو التأكُّد من وجوده ؟!

قال الغريب فى حزم :

ـ الأرض الجديدة موجودة يا مولاى ، وذلك الحجر المتكلّم ، بين يدى الحكيم (هولان) ، هو دليل حى على وجودها ، ولقد حصلت عليه من أحد سكان تلك الأرض البعيدة ، والذى قام بمغامرة مدهشة ؛ ليثبت وجود أرضنا ، ولكنه مات على سواحلنا ، تاركًا لنا هذا الدليل .

صمت الملك بضع لحظات ، قبل أن يسأل (هولان) :

ـ هل تبدو لك قصة معقولة ؟!

صمت (هولان) طويلاً ، قبل أن يلتفت إلـى قـادة الحرس الثلاثة ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ اصحبوه إلى الخارج .. أريد أن أحدّث مولاى وحدنا . قاد الرجال الثلاثة الغريب إلى الخارج ، وهو يقول فى ثقة :

ـ سأنتظر .

وفور خروجه ، تساءل الملك فى اهتمام :

ـ ما رأيك ؟!

أجابه (هولان) فى رصانة :

ـ قصته تبدو غريبة ، ولا يمكن المجازفة بتأكيد صحتها ، ولكن لا يمكننا المجازفة أيضًا بفقدان فرصة نادرة كهذه ؛ إذ إن امتلاكنا لأشياء كـالتى يتحدَّث عنها ، والتى تشبه ذلك الشىء المتكلِّم ، ستضعنا على قمة ما حولنا من شعوب ، وتضمن لنا التفوق الدائم ، كما لا يمكننا المجازفة بذهابه إلى شعب آخر ، ومنحه ما لديه .

داعب الملك ذقنه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ وماذا لو قتلناه ، ومنعناه من منح ما لديه لأى مخلوق آخر ؟!

هزَّ (هولان) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يمكننا أن نضمن أنه وحده يعلم هذا ، كما أننا لا نضمن أن يبلغ الخبر أى ملك آخر ، فى وقت قريب ، فيسعى إلى ما رفضنا نحن السعى إليه ، ويمتلك ما أضعنا الفرصة لامتلاكه .

صمت الملك طويلاً ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ إذن فأنت تحبذ منحه السفينة والرجال .

وافقه (هولان) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ وفى أسرع وقت ممكن يا مولاى .

عاد الملك يداعب ذقنه بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى توتر :

ـ وهل ترى أنه من الحكمة أن نرسل غريبًا إلى أرض الثروات الرهيبة هذه ، دون ضمانات كافية ، تمنعه من الاستئثار بتلك القوة اللا محدودة ؟! ماذا لو منحته تلك الأشياء قوة هائلة ، تكفيه للسيطرة علينا ؟!

سأله (هولان) فى اهتمام :

ـ وماذا يقترح مولاى ؟!

اعتدل على عرشه ، قائلاً :

ـ أن أرسل معه شخصًا أثق به ، وبحكمته ، وقدرته على تبصُّر الأمور وتدبيرها ، والسيطرة عليها إذا ما اقتضى الأمر ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم صارم :

ـ أنت يا (هولان) .

وكانت مفاجأة ..

حقيقيــة .

* * *

٢ ـ الحكيم ..

انتشرت الغيوم الكثيفة فى السماء ، والتقت بالمحيط الكبير عند الأفق ، الذى تطلّع إليه الحكيم (هولان) فى صمت ، وهو يقف على متن السفينة الكبيرة ، التى تبحر بلا توقف ، منذ خمسة أيام كاملة ، وبدت الرياح هادئة مواتية ، تملأ الأشرعة ، وتدفع السفينة فى اتزان وسرعة ، فى الوقت الذى اتجه فيه الغريب إلى حيث يقف الحكيم ، وقال فى هدوء :

ـ وفقًا لحساباتى ، سنبلغ الهدف ، خلال يوم واحد على الأكثر .

رمقه (هولان) بنظرة جانبية ، وهو يقول فى حذر :

ـ يُدهشنى أن يمكنك التقدير بهذه الدقة ، فمراقبتى لك ، خلال الأيام الخمسة الماضية ، تؤكّد لى أن خبرتك فى الإبحار محدودة للغاية .

استند الغريب إلى حاجز السفينة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ بل يمكنك أن تقول : إننى لا أمتلك أية خبرة فى الإبحار على الإطلاق ، ولهذا احتجت إلى الرجال ، الذين يمتلكون الخبرة فى هذا الأمر .

سأله (هولان) ، في شيء من الصرامة :

ـ كيف يمكنك تقدير الزمن إذن ؟!

أجابه الغريب ، في سرعة وحزم :

ـ لدى أساليبى .

كان سيكتفى بهذا القـول المقتضب ، لولا تلك النظرة المتوترة ، التى أطلّت من عينى (هولان) ، والتى جعلته يكمل في هدوء :

ـ إنه أمر يرتبط بسرعة الإبحار ، وقوة الرياح ، و ...

قاطعه (هولان) في حدة :

ـ وماذا ؟!

أدار إليه الغريب عينيه في بطء ، فتابع (هولان) في صرامة :

ـ ما تقوله أمر لا مثيل له ، ولم نسمعه من قبل قـط ، حتـى مـن علمائنا وحكمائنا ، مما يثير فـى نفسـى تلـك الشـكوك والتسـاؤلات القديمة .

ثم استدار إليه بجسده كله ، متابعًا :

ـ من أنت بالضبط ؟! ومن أين أتيت ؟!

التقط الغريب نفسًا عميقًا ، وتطلّع إلى الأفق طويلاً في صمـت ، قبل أن يقول :

ـ هل سأظل أجيب عن هذا السؤال إلى الأبد ؟!

قال (هولان) فى صرامة :

ـ ما لم تمنحنى جوابًا شافيًا له !

صمت الغريب بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

ـ كل ما يمكننى قوله ، هو أننى قد أتيت من بلاد بعيدة ، لم تصلوا إليها ، أو يمكنكم حتى تصوّرها من قبل .

سأله (هولان) فى صرامة :

ـ أهى نفس البلاد ، التى نتجه إليها ؟!

صمت الغريب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب ، فى حزم مقتضب :

ـ كلاً .

همَّ (هولان) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الغريب اعتدل فجأة ، وقال فى شىء من الصرامة :

ـ أعتقد أن لدى ما يجب القيام به ، فى هذه المرحلة من الرحلة .

قال (هولان) فى توتر :

ـ أهى وسيلة للفرار من إجابة تساؤلاتى ؟!

تطلَّع إليه الغريب فى هدوء ، قائلاً :

ـ يمكنك تفسير الأمر ، كما يحلو لك .

قالها ، واندفع نحو كابينته الخاصة ، وأغلقها خلفه فى إحكام ، فغمغم (هولان) فى توتر :

ـ إنك تخفى شيئًا أيها الغريب .. تخفى ما سأبذل قصارى جهدى لمعرفته .

ثم اتجه نحو قبطان السفينة ، وسأله فى اهتمام :

ـ هل تعرف إلى أين نبحر بالضبط ؟!

بدا صوت القبطان متوترًا ، على نحو ملحوظ ، وهو يقول :

ـ كلاً .. إنها أوَّل مرة أبحر فيها ، دون معرفة هدفى بالتحديد ، وذلك الغريب ، ذو الوجه العجيب ، يحدِّد مسار الرحلة بدقة مثيرة للحيرة ، كما لو أنه يعرف هدفه جيِّدًا ، ولولا هدوء البحر ، ومؤازرة الرياح لنا ، طوال الأيام السابقة ، لفقدت السيطرة على الرجال ، الذين بدءوا يرددون فيما بينهم ، أن المحيط الكبير قد ابتلع كل من جرؤ على تحديه ، وأن أحدًا لم يعد منه قط ؛ ليشرح ما يواجهه البحارة فيه ، وبعضهم يخشى أن تهاجمنا الوحوش من أعماقه ، فى مرحلة ما ..

غمغم (هولان) :

ـ مجرَّد شائعات .. لا أحد عاد ليؤكِّد وجود تلك الوحوش الأسطورية .. لا أحد .

قال القبطان فى توتر:

ـ ولا أحد نفى وجودها أيضًا .

كان الضوء ينخفض فى الأفق ، على نحو ملحوظ ، من خلف الغيوم الكثيفة ، فقال (هولان) فى قلق ، لم يفارقه قط ، منذ أبحرت السفينة :

ـ الأيام القادمة ستجيب عن كل تساؤلاتنا .

مطَّ القبطان شفتيه ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ أو تبتلعنا ، مثلما ابتلعت كل من قبلنا .

لم يحاول (هولان) التعليق على قوله ، وهو يدير الأمر فى رأسه مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وفى كل مرة ، كان قلبه يشعر بالقلق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

الغريب يبدو واثقًا للغاية من هدفه ..

ومن قدرته على الوصول إليه ..

لا أحد يعلم كيف ..

أو حتى لماذا ؟!

هناك غموض شديد عجيب ، يحيط بكل شيء ، منذ بدأت هذه الرحلة ..

الغريب يجهل الملاحة تمامًا ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يرسم خط سير السفينة بمنتهى الدقة ، كما لو أنه يحفظ ذلك المحيط الكبير عن ظهر قلب ، أو أبحر فيه مرات ومرات ..

وهناك حيرة أيضًا تحيط به ..

حيرة تتعلّق بملامحه ، التى تختلف كثيرًا عن ملامح الآخرين ..

ملامحه ، التى تثير قلق البحّارة ، وخوفهم ، وحذرهم أيضًا ..

يقول : إنه قد جاء من بلاد بعيدة ..

بعيدة جدًّا ..

ولكن هذا لا يفسِّر ذلك الاختلاف الكبير فى ملامحه ..

ولا يفسِّر معارفه الكثيرة أيضًا ..

معارفه ، التى تفوق معارف أكبر الحكماء ، فى هذا الزمان ..

اختفى الضوء تمامًا فى الأفق ، وهبط الظلام ؛ ليحيط بكل شىء ، وليضاعف من توتر الموقف وقلقه ، و ...

وفجأة ، غادر الغريب كابينته ، وهو يقول فى حزم :

ـ هناك عدد من الجزر الغارقة ، ستواجهنا بعد قليل .

التفت إليه البحَّارة فى توتر عصبى حائر ، فى حين سأله القبطان فى حدة :

ـ ما الذى تقصده بمصطلح الجزر الغارقة هذا ؟! إننى قبطان منذ زمن طويل ، ولم أسمع هذا التعبير قط .

بدا الغريب هادئًا واثقًا ، وهو يقول :

ـ الجزر الغارقة هى كتل صخرية ، تختفى تحت سطح الماء ، وتبرز منها أطراف صغيرة ، لا يمكنك أن تلاحظها بالعين المجرَّدة ، وبخاصة فى مرحلة الظلام ، وهذا مكمن خطورتها ، عندما تصطدم بها السفن ، فتتحطم قيعانها ، وتغوص ببحارتها فى الأعماق .

التقى حاجبا (هولان) ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن هذا ما أصاب السفن السابقة ؟!

أجابه الغريب فى صرامة وحزم :

ـ ربما .

بدا القلق الشديد على البحَّارة ، وهتف أحدهم فى انزعاج :

ـ فلنتوقَّف إذن ، قبل أن نصطدم بها ، ونلقى مصير من سبقنا إليها .

شدّ الغريب قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ كلاً .. لن نتوقّف .. سنضىء طريقنا فحسب ، حتى يمكننــا أن نتفادى الاصطدام .

قال القبطان فى صرامة :

ـ كل مشاعل الدنيا لن تكفى ؛ لنضىء الطريق أمامنا ، فى قلـب الظلام الدامس .

بدت ابتسامة الغريب غامضة ، وهو يقول :

ـ ومن تحدَّث عن المشاعل ؟!

ثم غاب فى كابينته لحظة ، عاد بعدها حاملاً كرة مـن الزجـاج ، وهو يضيف :

ـ سنستخدم هذا .

تطلّع الجميع إلى الكرة الزجاجية فـى حيرة ، فـى حين تسـاءل (هولان) ، وهو يتابع الغريب ، الذى اتجه بها إلى مقدّمة السفينة :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

أجاب الغريب ، وهو يثبت الكرة فى مقدمة السفينة ، فى إحكام شديد :

ـ هذا واحد مـن الكنـوز العديدة ، التى تنتظـرنا هنـاك ، فى الأرض الجديدة يا رجال .

نطقها ، ثم اعتدل ، وراجع كل الأمور فى سرعة ، قبل أن يضيف :

ـ أغلقوا عيونكم ، واحبسوا أنفاسكم ، فما سترونه الآن لم تروه من قبل قط ، حتى فى أحلامكم .

لم يدر أحدهم ما الذى فعله بعدها بالضبط ، ولكن فجأة ، سطع الضوء من تلك الكرة الزجاجية ..

سطع بقوة تغشى الأبصار ، وسط ذلك الظلام المحيط بالسفينة ، ليضيء مقدمتها ، ومسافة ضخمة من قلب المحيط الكبير أمامها ..

وبكل انبهار الدنيا ، شهق الجميع ..

البحَّارة ..

والقبطان ..

وحتى الحكيم (هولان) نفسه ..

أما الغريب ، فقد ظلَّ هادئًا واثقًا ، كما لو أنه قد أتى أمرًا ، اعتاد القيام به دومًا ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

ـ بهذا سنرى كل الأجزاء البارزة ، ونتفادى الارتطام بها تمامًا .

ظل الكل مبهورًا صامتًا بضع لحظات ، قبل أن يتساءل القبطان فى توتر :

ـ وماذا عن الأجزاء المختفية تحت السطح ؟!

أجابه الغريب فى حزم ، وهو يتجه إلى كابينته :

ـ اترك أمرها لى .. سأقودك عبرها .

وتوقَّف عند باب الكابينة ، والتفت إلى (هولان) ، مستطردًا ، بابتسامة أكثر غموضًا :

ـ بوسائلى الخاصة .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، فهتف أحد البحارة بصوت مرتجف :

ـ من هذا الرجل بالضبط ؟!

هتف آخر :

ـ يلوح لى أنه الشيطان نفسه ، جاء يقودنا إلى قلب الجحيم .

قال ثالث فى ارتياع :

ـ بل هو ساحر .. ساحر عظيم .. أرسله مولانا الملك ؛ ليقود رحلتنا عبر المحيط الكبير ؛ حتى لا نلقى مصير من سبقنا .

ووثب رابع إلى حيث يقف الحكيم (هولان) ، وتشبث بذراعه ، هاتفًا فى انفعال :

ـ من هذا الرجل أيها الحكيم ؟! من هو ؟!

أزاح (هولان) يد البحار ، وهو يبحث عن الجواب في ذهنه ، قبل أن يقول في حزم :

ـ هذا الرجل هو الذي وعدكم مولانا الملك بمكافآت وإنعامات سخية ، لو ساعدتموه على إنجاح مهمته ، وعبور المحيط الكبير ، إلى أرض الثروة والقوة ..

ثم أشار إلى تلك الكرة المضيئة ، مستطردًا :

ـ القوة ، التي ترون عينة منها هنا .

وشد قامته ، هاتفا في صرامة :

ـ فهل ستضيعون أوامر مولاكم الملك ؟!

انطلقت صيحة هادرة من حلوقهم ، تؤيِّد مليكهم ، وتعلن الولاء له ، فشدَّ (هولان) قامته أكثر ، وهو يقول في قوة :

ـ أدوا عملكم ، وسيضاعف مولانا الملك مكافآتكم وعطاياكم .

ارتفع هتافهم مرة أخرى ، وأنستهم المكافآت المنتظرة توترهم وخوفهم ، ودفعتهم إلى التعامل مع الموقف في حماسة ، مع انبهارهم بتلك الكرة المضيئة ، التي أنارت المحيط المظلم أمامهم ..

أما (هولان) فقد اتخذ ركنًا مجاورًا لكابينة الغريب ، وعقله يعيد دراسة الموقف ، ربما للمرة الألف ، وهو يطرح على ذهنه أسئلة عديدة ..

وجديدة ..

ومديدة ..

و ...

« هاهى ذى الجزر الغارقة ! »

هتف أحد البحارة بالعبارة ، وهو يشير إلى قمم الصخور الحادة ، البارزة من تحت سطح الماء ، فهبَّ الجميع لرؤيتها ، والقبطان يصيح بهم :

ـ اتخذوا أماكنكم .. استعدوا للمناورة .

ثم صاح فى حدة :

ـ أين ذلك الغريب ؟! قال إنه سيقودنا عبرها .

أتاه صوت الغريب ، وهو يقول فى حزم :

ـ أنا هنا .. اطمئن .

ثم جذب إليه أحد البحارة ، مستطردًا فى صرامة :

ـ قف هنا ، عند باب الكابينة ، وانقل كل ما أهتف به إلى القبطان فورًا .. هل تفهم ؟!

أجابه البحار بالإيجاب فى توتر ، ووقف عند باب الكابينة ، التى اختفى الغريب داخلها ، وهتف :

ـ خمس درجات إلى اليمين .

نقل البحَّار الهتاف إلى القبطان ، الذى نفذ المناورة على الفور ، قبل أن يأتيه هتاف آخر :

ـ سبع عشرة درجة إلى اليسار .

التقى حاجبا (هولان) فى شدة ، مع توالى الهتافات ، التى راحت تقود القبطان ، وسط تلك الجزر الغارقة ، على نحو بالغ الدقة ، جعل القبطان نفسه يهتف مبهورًا :

ـ كيف يفعلها هذا الرجل ؟! إنه يبدو كما لو أنه يحفظ المحيط عن ظهر قلب !!

ازداد التقاء حاجبى (هولان) ، وهو يقول :

ـ نعم .. كيف يفعلها ؟!

لم يستطع منع ذلك الفضول الرهيب ، الذى سرى فى عروقه ، مع تواصل هتافات الغريب ، من داخل كابينته ، و ...

وفجأة ، ودون سابق إنذار ، اندفع (هولان) نحو كابينة الغريب واقتحمها فى حدة ، و ...

وتوقف مبهورًا مشدوهًا ..

فهناك ، داخل الكابينة .. كان الغريب يجلس ، أمام مستطيل من مادة عجيبة يشعّ من منتصفها ضوء أخضر اللون ، عبر لوح من الزجاج ، تتحرّك فوقه أشياء صغيرة مدهشة ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله عقل (هولان) ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

٣ ـ القبطان ..

« لقد تجاوزنا منطقة الخطر .. »

هتف القبطان بالعبارة ، فى ارتياح وانبهار ، وهو يقود السفينة ، خارج منطقة الجزر الغارقة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع فى انفعال :

ـ هذا الرجل مدهش بحق ! إنه يقودنا بمنتهى الثقة ، عبر منطقة لم نعرفها من قبل قط .

قال أحد البحارة فى توتر :

ـ قلت لكم : إنه ساحر .

هتف القبطان فى حرارة :

ـ لو أنه ساحر ، فهو يعمل إلى جوارنا .. وهذا من حسن حظنا .

سأله بحَّار آخر :

ـ هل تعتقد أنه هناك بالفعل أرض جديدة ، وأنه سيقودنا إليها ؟!

تطلَّع القبطان إلى الكرة المثبتة فى مقدِّمة السفينة ، والتى تضىء المحيط أمامه لمسافة شاسعة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ما رأيك أنت ؟!

ثم أدار عينيه إلى كابينة الغريب ، التى اقتحمها (هولان) منذ قليل ، وتساءل فى أعماقه : تُرى ما الذى يحدث فى الداخل الآن ؟!

ماذا يحدث ؟!

ماذا ؟!

فى نفس اللحظة ، التى دار فيها التساؤل فى ذهنه ، كان الغريب يضغط جانب ذلك الإطار العجيب ، ويطفئ الضوء المنبعث من قطعة الزجاج فى منتصفه ، وهو يستدير إلى (هولان) ، الذى لم يفارقه ذهوله وانبهاره بعد ، قائلاً بنفس الهدوء العجيب :

ـ ألا تنصّ قواعد اللياقة عندكم على أن يطرق المرء الباب ، قبل الدخول إلى مكان لا يخصّه .

انتفض (هولان) ، وهو ينتزع نفسه من انفعاله ، وهتف فى صرامة :

ـ هذه السفينة ، بكل ما عليها ومن عليها ، ملك لمولاى الملك .

أحنقته تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على شفتى الغريب ، وهو يقول :

ـ هذا لا يمنع من ضرورة أن تطرق الباب .

سأله (هولان) ، وهو يشير إلى الإطار العجيب فى توتر :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!



فى نفس اللحظة التى دار فيها التساؤل فى ذهنه ، كان الغريب
يضغط جانب ذلك الإطار العجيب

أجابه الغريب ، وهو يتراجع فى مقعده ، بنفس الهدوء المستفز :

ـ لن يعنيك أن تعرف ؛ لأنك لن تفهمه أبدًا .

قال (هولان) فى عصبية :

ـ أنا مصرّ على المعرفة .

تطلّع إليه الغريب طويلاً فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ إنه أحد الكنوز ، التى تنتظرنا هناك ، فى الأرض الجديدة .

هتف (هولان) :

ـ بل هذا سحر مبين .

هزّ الغريب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاً .. إنه ليس كذلك ، إلا أن هذا ما سيبدو لكم حتمًا .

التقى حاجبا (هولان) وهو يميل نحوه ، متسائلاً فى توتر :

ـ من أنت بالضبط ؟!

ابتسم الغريب ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى قد سئمت هذا السؤال ، أيها الحكيم (هولان) .

هتف به (هولان) :

ـ وأنا سئمت مراوغتك فى الإجابة عنه بصراحة .

لاذ الغريب بالصمت بعض الوقت ، وكأنما يدير الأمر في رأسه ، قبل أن يسأل (هولان) في هدوء :

ـ ما الذى يثير توترك على هذا النحو أيها الحكيم ؟!

أجابه (هولان) ، في سرعة وحدة :

ـ كل شيء ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، محاولاً تهدئة أعصابه ، وهو يضيف :

ـ أقسم إننى قد شاهدت الشياطين الصغيرة ، تتقافز على سطح لوح الزجاج المضىء هذا .

ابتسم الغريب ، وهو يقول في سخرية :

ـ الشياطين الصغيرة ؟!

صاح (هولان) في حدة :

ـ بالطبع .. من غيرها يمكن أن يضىء وينطفئ ، ويعدو عابثًا هكذا ، فوق لوح زجاجى ، يتوسَّط إطارًا عجيبًا كهذا ؟!

قال الغريب في هدوء :

ـ إنه ليس إطارًا عجيبًا ! إنه شيء مفيد .. مفيد جدًّا .

تطلَّع (هولان) إلى الإطار في توتر ، قائلاً :

ـ من أى شيء تم صنعه ؟!

صمت الغريب طويلاً هذه المرة ..

طويلاً جدًّا ..

صمت ، وهو يتطلع إلى (هولان) مباشرة ، دون أن يرفع عينيه عنه ، وكأنما يدير أمرًا ما فى رأسه ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ من الواضح أنك شخص ذكى للغاية يا (هولان) .

قال (هولان) فى حدة :

ـ وأنت شخص غامض للغاية أيها الغريب .. كل شىء فيك عجيب وغير مألوف .. وجهك .. ملامحك .. وحتى أصابع يديك ، التى تنقص إصبعًا عن المألوف .

قال الغريب فى بطء:

ـ يمكنك اعتبار هذا نوعًا من التطوّر الجنينى ، غير المألوف هنا .

قال (هولان) فى دهشة عصبية :

ـ التطوّر الماذا ؟!

ثم اندفع يضيف فى حدة :

ـ هذا يبدو لى أشبه بالتحوّرات ، فى عالم السحرة .

وخطا إلى الأمام بحركة عصبية ، وهو يشير إلى رأس الغريب ، مستطردًا فى توتر :

ـ وكذلك تلك النقط السوداء ، التى تنتشر فى رأسك .

عاد الغريب يتطلّع إليه فى صمت طويل ، ثم لم يلبث أن مال نحوه فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ قل لى أيها الحكيم (هولان) : لماذا تتعامل معى بهذا العداء ؟!

جاء السؤال مباغتًا ، على نحو تراجع معه (هولان) بحركة حادة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لأننى لا أثق بك .

سأله الغريب بسرعة :

ـ لماذا ؟!

قال (هولان) فى حدة :

ـ لأن كل شىء فيك عجيب ، ولا يدعو إلى الارتياح على الإطلاق .

تراجع الغريب فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ لماذا تواصل الرحلة معى إذن ؟!

قال (هولان) فى غضب :

ـ لأن هذا ما يريده مولاى الملك ، و ...

قاطعه الغريب بغتة :

ـ هراء .

اتسعت عينا (هولان) فى شدة ، فتابع الغريب فى صرامة :

ـ إنك تواصل الرحلة ؛ لأنك تؤمن بأننى سأقودكم إلى شىء يفوق إدراككم .. شىء سيحقّق لكم التميّز على باقى الممالك المحيطة بكم ، ويضمن لكم التفوّق عليها ، لعقود طويلة من الزمان .

شعر (هولان) بالسخط والحنق ؛ لأن الغريب قد كشف ما يدور فى أعماقه ، على هذا النحو ، وقال فى توتر :

ـ فليكن .. إننى مضطر لمواصلة الرحلة معك ، ولكننى لا أثق بك قط .. لا تعارض بين هذا وذاك .

هزّ الغريب كتفيه ، وقال :

ـ هذا لا يضايقنى .. ثق بى ، أو لا تثق على الإطلاق ، المهم أن نواصل الرحلة .

مطّ (هولان) شفتيه الرفيعتين ، وهو يقول فى انفعال :

ـ هل تحتفظ فى جعبتك بعجائب أخرى ؟!

أجابه الغريب ، بابتسامة غامضة :

ـ ربما .

قال (هولان) فى عصبية :

ـ ربما نعم ، أم ربما لا ؟!

مال الغريب إلى الأمام ، قائلاً :

ـ كلمة ربما تفيد الاحتمالين أيها الحكيم .

انفرجت شفتا الحكيم ؛ ليقول شيئًا ما ، ولكن قبل أن يخرج حرف واحد من بين شفتيه ، انطلقت من فوق السفينة صرخة هادرة :

ـ النجدة ! الوحش !

انتفض جسد (هولان) ، وهو يردّد فى ذهول مذعور :

ـ الوحش ؟!

قالها ، واندفع خارج كابينة الغريب ، و ...

وكان المشهد رهيبًا بحق ..

البحارة كانوا يعدون على سطح السفينة ، بكل رعب الدنيا ، فى حين برزت من سطح البحر كرة هلامية ضخمة ، لها عين واحدة كبيرة ، وأذرع رفيعة طويلة ، راحت تطارد البحّارة على نحو رهيب مخيف ..

أما البحار ، فكان يتشبَّث بالدفة ، صائحًا فى توتر بالغ :

ـ لا تهربوا .. السفينة تفقد توازنها .. استخدموا سيوفكم أيها الجبناء ! استخدموا سيوفكم .

ولكن كان من العسير أن يستمع البحَّارة المذعورون لصيحاته ، بعد أن التفت تلك الأذرع الرفيعة حول اثنين منهم ، وجذبتهم إلى تلك الكتلة الهلامية الضخمة ، ثم لم تلبث أن غمرتهم فى الماء ، وباقى الأذرع تواصل سعيها ، خلف البحارة الآخرين ..

كان من الواضح أن ذلك الكائن يُغرق ضحاياه ، تحت سطح المحيط ؛ حتى يتسنى له التهامهم فيما بعد ، عندما ينتهى هجومه ..

وعلى الرغم من الموقف الرهيب ، ظلّ القبطان يدير الدفة ، محاولاً الابتعاد عن ذلك الكائن الهلامى الضخم ، وهو يهتف :

ـ ابتعد أيها الوغد .. اتركنا لحالنا .. اترك بحَّارتى .. اذهب .

لم يكد يتمَ هتافه ، حتى التفّت إحدى الأذرع الرفيعة حول ساقه ، وجذبته نحو حاجز السفينة فى حركة حادة ، جعلته يفلت الدفة على الرغم منه ، فصرخ ، وهو يستلّ سيفه :

ـ الدفة .. السفينة ستفقد توازنها ، و ...

ولم يكن قد أتم عبارته ، عندما هوت تلك الصاعقة فجأة ..

لم تكن صاعقة بالمعنى المفهوم ، وإنما هى حزمة من ضوء مبهر ، انطلق فى خط مستقيم ؛ ليصيب تلك الذراع الرفيعة ، التى يلتفّ طرفها على ساق القبطان ..

ويقطعها فى عنف ..

ومع ذلك الصوت الرهيب ، الذى اقترن بتلك الصاعقـة ، والـذى يشبه فحيح ألف أفعى ، توقَّف البحَّارة فجـأة ، والتفتوا إلى كابينـة الغريب ، فى ذهول مبهور ..

أمـا ذلـك الكـائن الهلامـى الرهيـب ، فقـد أدار عينـه الواحـدة الضخمة إلى الغريب فـى غضب ، ثـم جمـع أذرعـه كلهـا ، وكأنمـا يستعد لتوجيهها كلهـا إلى خصـمه الجديد ، الـذى أفقـده واحدة منهـا ..

ولكن الغريب ظلّ هادئًا واثقًا ، وهو يرفع شيئًا معدنيًا فى يـده ، ويصوبه إلى العين الواحدة الكبيرة ، ثم يضغط جزءًا منه ..

وانتفضت أجساد الجميع ، عندما انطلقت حزمة ضوء أخـرى ، من قمة ذلك الشىء المعدنى ، بنفس الصوت الشبيه بالفحيح ..

انطلقت ؛ لترتطم بعين ذلك الكـائن الهلامـى الرهيـب ، وتنسفها فى مشهد مخيف ، قبل أن تنسف الكتلة الكروية كلها ..

وشهق البحَّارة ، عندمـا تنـاثر سـائل سـاخن لـزج ، مـن الكـائن الهلامى ، على أجسـادهم ووجوههـم ، وعلـى سـطح السـفينة كلـه تقريبًا ..

ولكن الكائن نفسه هبط إلى أسـفل ، وغـاص فى ميـاه المحيـط ، وهو يفلت ضحيتبه السابقتين ..

وبنفس الهدوء ، خفض الغريب يده الممسكة بصانع الصواعق ، واستدار إلى القبطان ، قائلاً :

ـ هل الجميع بخير ؟!

حدَّق القبطان فى وجهه بدهشة ، ثم هبَّ واقفًا ، واندفع نحو حاجز السفينة ، وتطلَّع إلى البحارين ، اللذين أفلتتهما أذرع الكائن الهلامى ، بعد أن صدعته حزمة الضوء الصاعقة ، وقد برزا إلى السطح ، وراحا يملآن صدريهما بالهواء ، غير مصدقين أنهما قد نجوا ، بعد أن كانا قاب قوسين أو أدنى من الغرق ، ثم التفت إلى الغريب ، وقال بأنفاس لاهثة ، من فرط الانفعال :

ـ نعم .. كلنا بخير .

بدا الارتياح فى وجه الغريب وصوته ، وهو يقول :

ـ عظيم .

ثم استدار عائدًا إلى كابينته ، ولكن القبطان استوقفه ، وهو يهتف فى حزم :

ـ انتظر أيها الغريب..

استدار إليه الغريب فى هدوء ، فاتجه نحوه فى خطوات ثابتة ، وتبعه باقى البحَّارة فى صمت ، على نحو أقلق (هولان) ، الذى تراجع فى توتر حذر ..

« لقد أنقذت حياتنا جميعًا .. »

نطق القبطان العبارة فى حسم ، فشدّ الغريب قامته ، قائلاً :

ـ كان من الضرورى أن أفعل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بابتسامة هادئة :

ـ فهذا ينقذ حياتى أيضًا .. أليس كذلك ؟!

شدّ القبطان قامته بدوره ، وهو يجيب :

ـ كلاً .. ليس كذلك .

تضاعف قلق (هولان) وتوتره ، وخُيِّل إليه أنه يشهد بداية تمرُّد بحرى عنيف ، فهتف فى عصبية :

ـ تذكروا أنكم تعملون ، فى خدمة مولانا الملك .

أشار إليه القبطان بالصمت فى صرامة ، ثم عاد يلتفت إلى الغريب ، وهو يقول :

ـ لو أن ما تقوله صحيح ، لما تساءلت عن مصير الجميع ، بعد أن أزحت الخطر ، فلا يفعل هذا سوى شخص نبيل .

هتف أحد البحارة :

ـ هذا صحيح .

وأضاف آخر فى حزم :

ـ أو ساحر طيب .

غمغم ثالث :

ـ المهم أنه ليس شيطانًا .

أسكتهم القبطان بإشارة من يده ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لهذا ، نحن ندين لك جميعًا بحياتنا .

ثم اعتدل ، هاتفًا :

ـ أيها الرجال ..

مع آخر هتافه ، انحنى الجميع فى حركة واحدة أمام الغريب ، الذى بدا ، ولأوّل مرة مرتبكًا ، وهو يقول :

ـ لا .. لا تنحنوا أمامى .. المرء لا ينبغى أن ينحنى إلا لـ ...

قاطعه (هولان) فى حزم :

ـ للملك .

هزَّ الغريب رأسه ، قائلاً :

ـ بل لمالك كل الملوك .

قالها ، واستدار ليدلف إلى كابينته ، ويغلق بابها خلفه ، فاعتدل القبطان ، هاتفًا :

ـ هيا .. فليعد كل منكم إلى موضعه .. سنواصل الإبحار .

اندفع الرجال ، كل إلى موقعه بالفعل ، فالتقى حاجبا (هولان) ،

وهو يتجه نحو القبطان ، الذى عاد إلى الدفة ، ووقف إلـى جواره بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأله :

ـ هل تثق به ؟

أومأ القبطان برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ لقد أنقذ حياتنا .

أجابه (هولان) فى توتر :

ـ أنقذ حياتكم من خطر ، قادكم بنفسه إليه .

تطلّـع إليـه القبطـان بنظـرة جانبيـة ، قبل أن يعود بنظـره إلـى الأمام ، قائلاً :

ـ أسلوبك هذا يؤكّد أنك لا تثق به .. أليس كذلك ؟!

غمغم (هولان) فى توتر :

ـ لا أثق بهدفه .

صمت القبطان بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هل رأيت ذلـك الشـىء ، الـذى أطلـق منـه الصواعق ، التى سحقت الوحش ؟!

قال (هولان) فى حذر :

ـ كلنا رأيناه .

سأله القبطان :

ـ ألا تعتقد أنه ، بسلاح كهذا ، كان بإمكانه أن يسيطر على كل شيء .. حتى على قوات مليكنا نفسه ، وأن يجبرنا على القيام بهذه الرحلة ، على الرغم منا ؟!

تردَّد (هولان) لحظة ، قبل أن يجيب ، فى حذر أكثر :

ـ الواقع أنه لو استبعدنا ..

ولكن القبطان عاد يسأله ، فى حزم شديد :

ـ ألم يكن بإمكانه هذا ؟!

صمت (هولان) لحظة ، ثم أجاب فى ضيق :

ـ بلى .

هزَّ القبطان رأسه ، وقال فى حزم :

ـ مادام لم يفعل ، فهو رجل جيِّد حتمًا .

انعقد حاجبا (هولان) فى توتر ، وغمغم :

ـ ربما ..

ودون أن يضيف كلمة أخرى ، اتجه نحو قمرته ، مضيفًا فى صرامة ، وكأنما يحاول استعادة مكانته :

ـ أيقظونى ، إذا ما جدّ جديد .

تابعه القبطـان ببصره ، حتـى اختفـى داخل السفينة ، ثـم هـزّ رأسه ، مكررًا فى حزم :

ـ إنه رجل جيِّد حتمًا .

لم يدر كم واصل قيادة السفينة بعدها ، فى قلب المحيط الكبير ، إلا أن الضوء لم يلبث أن لاح فى الأفق ، ثم تصاعد فى سرعة ، من خلف الغيوم الكثيفة ؛ ليمـلأ المكـان كلـه ، ويكشف المحيط الممتد إلى مالا نهاية ، دون أن تلوح فى الأفق أية أراض جديدة ، فغمغم القبطان :

ـ عجبًا ! الغريب قـال : إننـا سنبلغ الهدف بعد يوم واحد ، وها هو ذا اليوم قد انقضى ، ولست ألمح أرضًا جديدة .

أدار بصره فيما حوله ، وهتف بالمراقب ، الذى يعتلى الصارى الكبير :

ـ أبلغنى بأى شىء تراه .

أجابه المراقب :

ـ بالتأكيد يا قبطان .. بالتأكيد .

عاد القبطان يدير عينيه فيما حوله ، و ...

وفجأة ، التقطت أذناه ذلك الصوت العجيب ..

صوت منتظم ، رفيع ، حاد ، بدا وكأنه ينبعث من كابينة الغريب ، ويتواصل بارتفاع مطرد ، حتى احتلّ مسامع الجميع ، فهتف أحد البحارة فى توتر بالغ :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

صاح به القبطان :

ـ اطرقوا باب كابينة الغريب .. هناك أمر ما يحدث فى الداخل حتمًا .

اتجه البحّار نحو الكابينة ، وهم بطرق بابها ، وذلك الصوت المنتظم يتصاعد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، وقبل أن يبلغ البحّار الكابينة بمتر واحد ، انفتح بابها فجأة وظهر الغريب على عتبتها ، وهو يحمل فى يده قرصًا من مادة عجيبة ، ينبعث منه ذلك الصوت المنتظم ، ويضىء منتصفه بضوء أحمر متقطّع ..

واتسعت عيون الجميع ، وهم يتراجعون فى توتر بالغ ، محدقين فى ذلك القرص ، فى يد الغريب ، الذى بدا وكأنه لا يشعر حتى بوجودهم ، وهو يتطلّع إلى السماء ، وإلى السحب الكثيفة ، التى تخفيها تمامًا ،

وكأنما ينتظر شيئًا ما ، بكل شغف الدنيا ، فقال القبطان لأحد رجاله ، فى توتر بالغ :

ـ أيقظ الحكيم (هولان) .. أيقظه فورًا ..

اندفع الرجل لتنفيذ الأمر ، وتبعه القبطان ببصره لحظة ، قبل أن ينتزعه أحد البحَّارة من أفكاره ، وهو يشير إلى السماء ، صارخًا بانفعال جارف عنيف :

ـ انظر .. انظر يا قبطان .

وبحركة سريعة ، رفع القبطان عينيه ، إلى حيث يشير الرجل ..

ثم انتفض جسده ..

انتفض بعنف ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

٤ـ الغريب ..

فرك (هولان) عينيه في قوة ، قبل أن يعاود التحديق ، في ذهول تام ، في ذلك الجسم اللامع ، الذي استقر على ارتفاع متر واحد من سطح الماء ، على مسافة أمتار قليلة من السفينة ، كطير معدني هائل ، امتدّ جناحاه إلى جانبيه ، وعلته قبةٌ من الزجاج السميك ..

وفي الجانب الآخر للسفينة ، اتسعت عيون البحّارة ، وهم يحدقون بدورهم في ذلك الجسم ، وأطرافهم ترتجف ذعرًا وارتياعًا ، وقبطانهم يقول ، بكل توتر وانفعال الدنيا :

ـ لقد هبط من بين الغيوم أيها الحكيم .. كلنا رأيناه يخترقها فجأة ، ثم يهبط نحونا مباشرة .. لقد حاولنا الابتعاد عنه ، إلا أنه ظل يتبعنا أينما ذهبنا ، ثم لم يلبث الغريب أن أمرنا بالتوقُّف ، وطلب منا ألا نخاف منه ..

هتف (هولان) :

ـ وما هذا الشيء بالضبط ؟!

هزّ القبطان رأسه ، مجيبًا في انفعال جارف :

ـ لست أدري .. حقًّا لست أدري .

انتفض (هولان) فى قوة ، وكأنما ينفض عن نفسه انفعالاتـه ، قبل أن يتلفت حوله فى عصبية ، قائلاً :

ـ أين الغريب ؟!

أشار القبطان بسبَّابة مرتجفة إلى كابينة الغريب ، مجيبًا :

ـ هناك .

استدار (هولان) ، متجهًا إلى الكابينة ، فتابع القبطان متوترًا :

ـ كان يقف هنا ، ممسكًا بقرص لامع عجيب ، حتى استقرَّ ذلـك الطائر المعدنى إلى جوارنا ، فعاد إلى كابينته .

ثم هتف فجأة فى حدة :

ـ إنه ساحر .. ساحر شيطانى رهيب .

عضّ (هولان) شفته السفلى فى توتر ، وهو يواصل طريقـه نحو الكابينة ، التى اقتحمها فى غلظة ، هاتفًا :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تجمَّد لعابه فى حلقه ، واتسعت عيناه عـن آخرهما ، وسرت فى جسده قشـعريرة بـاردة كـالثلج ، وهـو يحدِّق فى الغريب ، وفى هيئته الجديدة العجيبة ..

كان قـد تخلّى عن ثيابه ، وارتـدى بدلاً منهـا ثوبًا لامعًا ، يبـدو

كأنه من قطعة واحدة ، وحمل كرة من الزجاج ، لها خلفية من نفس مادة ثوبه اللامع ، وفى يده حقيبة صغيرة ، من مادة تشبه مادة ذلك الإطار الذى كانت تتراقص على زجاجه الشياطين الصغيرة ..

وفى ذهول مرتجف ، تساءل (هولان) :

ـ ما .. ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الغريب بابتسامة هادئة :

ـ هذا أنا أيها الحكيم .

جفّ حلق (هولان) ، وهو يسأله :

ـ أهذه .. أهذه ثياب السحرة ؟!

اتسعت ابتسامة الغريب ، وهو يقول :

ـ لا يوجد أى سحر فى الأمر أيها الحكيم .. كل ما بهرك مجرَّد علم .. علم سيبلغه قومك ذات يوم .. ليس فى حياتك أو حياة أحفادك .. بل فى مستقبلكم .. هذا نتاج حتمى للتطوّر .

شعر (هولان) بساقيه ترتجفان ، وهو يبحث عن أى مقعد يمكن أن يحتمل جسده ، وهو يقول :

ـ علم .. أى علم هذا ، الذى يمكن أن يصنع هذه المعجزات ؟!

هزَّ الغريب رأسه ، قائلاً :

ـ ليست معجزات .. إنها تطورات طبيعية .. صدقنى .

جلس (هولان) على قطعة من الخشب ، وهو يتساءل ، بصوت خنقه جفاف حلقه الشديد :

ـ وما ذلك الشىء فى الخارج ؟!

التقط الغريب نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ الهدف .

رفع (هولان) عينيه إليه ، وتمتم :

ـ الهدف ؟!

تطلَّع الغريب إلى وجهه المجهد فى إشفاق ، ثم لم يلبث أن جذب مقعدًا ، وجلس أمامه ، قائلاً :

ـ اسمعنى جيِّدًا يا (هولان) .. أنت رجل ذكى مخلص ، وتمتلك عقلية قادرة على سبر الكثير من الأمور ، وعلى الرغم من ثقتى بأنه من المستحيل ، على الرغم من كل هذا ، أن تستوعب الحقيقة ، إلا أننى سأشرح لك كل شىء .

غمغم (هولان) فى صوت مبحوح :

ـ أنت من هناك .. أليس كذلك ؟!

ردَّد الغريب فى حيرة :

ـ هناك ؟!

أشار (هولان) بيده ، إشارة غير ذات معنى ، وهو يقول ، بصوت متحشرج ، من فرط الانفعال :

ـ من مستقبلنا ؟!

تراجع الغريب بحركة حادة ، وهو يحدّق فيه بمنتهى الدهشة ، قبل أن ترتسم على وجهه ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! هذا الافتراض ، فى زمن كزمنك ، يكفى لوصفك بالعبقرية يا رجل .. لم أكن أتصوَّر أنه من الممكن ، بأى حال من الأحوال ، أن تخطر الفكرة ببال أحدكم ، مهما جمح خياله ..

يا إلهى ! لست أصدّق هذا !

غمغم (هولان) :

ـ إذن أنت من هناك .

اتسعت ابتسامة الغريب أكثر وأكثر ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

ـ كلاً .. لست من مستقبلكم .

تراجع (هولان) هذه المرة ، وهو يقول :

ـ من أين أنت إذن ؟!

اعتدل الغريب ، قائلاً :

ـ أخبرتك أننى من بلاد بعيدة .. بعيدة للغاية .. بـلاد تبعدِ أكثر بكثير مما تبعد تلك الغيوم ، التى لا تنقشع أبدًا .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا :

ـ الواقع أننى من كوكب آخر .

ردَّد (هولان) فى دهشة حائرة :

ـ كوكب آخر ؟! ماذا تعنى بكوكب آخر ؟!

تنهَّد الغريب فى عمق ، وقال :

ـ لا يدهشنى أنك تجهل ما أعنيه بكلمة كوكـب هذه .. بـل إننـى واثق من أنه ليس لديكم عالم فلك واحد هنا .. بل وربما لن يكـون لديكم أبدًا .

ونهض من مقعده ، وهو يضيف فى اهتمام :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فسأشرح لك كل شىء ..

صمت لحظة ، وكأنما يرتِّب الأمر فى ذهنه ، قبل أن يتابع :

ـ الواقع أن ما حدث لم يكن أمرًا متوقَّعًا أبدًا ؛ فعندما بدأت رحلتنـا ، خارج مجموعتنا الشمسية ، كنـا نبحث عن كواكب أخرى تضمّ مخلوقات عاقلة ، ولكن العجيب أن كوكبكم لم يكن ضمن الكواكب

المرشحة لوجود حياة عاقلة على سطحها .. ربما بسبب الغيوم الكثيفة ، التى تحيط به ، والتى منعتنا طويلاً من رصدكم ، أو معرفة ما يدور عندكم .. ولكن عطلاً طارئًا أصاب سفينتنا الأم ، بالقرب من هنا ، وبينما انهمك الزملاء فى إصلاحه ، قرَّرت أنا أن أستقل مركبة فضائية متنقِّلة ؛ لأخترق بها تلك الغيوم ، وأفحص كوكبكم ، الذى أخبرتنا مجساتنا الإليكترونية أن مساحته ، وجاذبيته ، ودرجات الحرارة على سطحه ، ونسبة الأكسجين فى هوائه ، كلها تناسب حياتنا فيه ، وترجِّح وجود حياة ما . عليه ..

وتوقَّف ؛ ليسأل (هولان) فى إشفاق :

ـ هل يمكنك استيعاب هذا ؟!

هزَّ (هولان) رأسه نفيًا فى انبهار ، فابتسم الغريب ، ولكنه تابع ، وكأنما يحتاج إلى إفراغ ما بصدره ، بأكثر مما يعنيه أن يفهمه الحكيم :

ـ ووفقًا للحسابات الإليكترونية ، لم تكن هناك سوى بقعة واحدة صالحة للهبوط على كوكبكم ، وهى هذه النقطة ، التى نحن فيها الآن ، نظرًا لتوزيع الأقطاب العجيب هنا ، لذا فقد درت بمركبتى حول كوكبكم ، وغادرتها بوساطة صواريخ دفع منفردة ، هبطت بها فى منطقتكم ، فى حين واصلت المركبة دورانها حولكم ، خارج نطاق الغيوم ، وكانت خطتى تعتمد على استكشاف حضارتكم ، التى تقلّ كثيرًا عن حضارة كوكبى ، لفترة من الوقت ، بوساطة

ما أحمله معى من أجهزة ، ثم أستخدم صواريخ الدفع مرة أخرى ، للصعود إلى حيث مدار مركبتى ، للعودة بها إلى السفينة الأم .

هزّ (هولان) رأسه فى قوة ، قائلاً :

لست أفهم حرفًا واحدًا مما تقول .

عاد الغريب يبتسم ، وتابع وكأنما لا يعنيه الأمر :

ـ ثم واجهت حربكم الأخيرة ، مع أعـداء مملكتكـم ، ووقفت أرصد ما يحدث ، حتى فوجئت بسهم طائش يخـترق جهـاز صواريـخ الدفـع ، ويتلف وحدة التحكم فيه تمامًا ، وكان معنى هذا أنه لم يعد باستطاعتى العودة إلى مدار مركبتى ، وأنه قد يُحكم علىّ بالبقــاء فى كوكبكـم إلى الأبد ، ما لم أجد وسيلة لبلوغ هذه البقعة ، التى يمكن أن تهبط فيها المركبة .

زفر (هولان) فى عصبية ، وقال :

ـ مازلت عاجزًا عن استيعاب الأمر ، إلا أن باستطاعتى أن أفهم الآن ، لماذا دفعتنا إلى القدوم إلى هنا ، ولكن ما يحيِّرنى بحق هو : كيـف أمكنك أن تتحدَّث لغتنا ، على الرغم من أنك من مكان آخر كما تقول ؟!

تطلَّع إليه الغريب بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى لا أتحدَّث لغتكم ، ولكن المـترجم الآلـى هـو الـذى يفعل هذا .

هتف (هولان) فى ذهول :

ـ الماذا ؟!

دفع الغريب سبَّابته فى أذنه ، والتقط من داخلها قرصًا صغيرًا ، وهو يقول :

ـ انظر .. هذا الشىء الصغير هو نوع من الكمبيوتر المتطوِّر ، مهمته أن يلتقط كل أحاديثكم ، وكل ما تتبادلونه من كلمات ، ثم يقوم بتحليلها واستنباط العلاقات بينها ؛ ليصنع قاموسًا خاصًّا بكم ، وبعدها ، وعندما أضعه فى أذنى ، فهو يترجم فورًا كل ما تنطقون به ، إلى لغتى أنا ، أما لو نظرت إلى سقف حلقى ، فستجد به شريحة إليكترونية صغيرة ، مهمتها أن تترجم كل ما أنطق به إلى لغتكم أنتم .. لهذا كانت لكنتى تبدو لكم دومًا عجيبة .

حدَّق (هولان) فى القرص ، الذى أعاده الغريب إلى أذنه ، وهتف بكل دهشة الدنيا :

ـ أتعنى أن هذه الأشياء الصغيرة ، هى التى تتحدَّث لغتنا ؟!

أومأ الغريب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى خفوت ، وبابتسامة حرجة :

ـ معذرة لأننى خدعتكم ، ودفعتكم للقدوم إلى هنا ، ولكن لم تكن أمامى أية وسيلة أخرى .. وسأعوّضكم عن كل ما بذلتموه من أجلى .

سأله (هولان) :

ـ بماذا ؟!

أشار الغريب بيده ، قائلاً :

ـ سأترك لكم كل هذه الأشياء ، التى تحويها جعبتى ، فيما عدا جهاز الرصد ، والكمبيوتر الدفترى ، فهما يحويان كل تفاصيل رحلتى على كوكبكم ، ولا يمكننى تركهما هنا .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ وللأسف ، لن يمكنكم الاستفادة مما سأتركه ، إلا على نحو محدود للغاية ؛ لأنه يفوق مداركم بكثير ، ولكننى أتخيّل الذهول ، الذى سيصيب العلماء فى مستقبلكم ، عندما يعثرون على أشيائى ، وسط ما سيتركه زمنكم من آثار .. أراهن أن هذا سيصبح بالنسبة لهم لغزًا ، سيشغلهم لفترة طويلة من الزمن .

حدّق (هولان) فى جعبة الغريب ، قائلاً فى انبهار :

ـ هل ستترك كل هذا لنا ؟!

غمغم الغريب مبتسمًا :

ـ نعم .. كل هذا .. وأرجو أن تبلغ تحياتى إلى مولاك ، مع نصيحتى له بأن يضع كرة الضوء على قمة قصره .. هذا سيبهر شعبه لسنوات وسنوات ، وسيرهب أعداءه طويلاً .

تمتم (هولان) :

ـ سأفعل .

اتسعت ابتسامة الغريب ، وربَّت على كتفه ، وهو يقول :

ـ صدقنى .. سأفتقدك كثيرًا أيها الحكيم .

تنهَّد (هولان) ، قائلاً :

ـ وأنا أيضًا .. سأفتقدك كثيرًا أيها الغريب .

وبدون كلمة إضافية ، وتحت سمع وبصر البحَّارة والقبطان ، غادر الاثنان الكابينة ، واتجها نحو حاجز السفينة ، المواجه للمركبة الفضائية ، التى تحلِّق فوق سطح الماء ، وضغط الغريب زرًّا فى جهازه ، فامتدّ لوح معدنى برَّاق ، من جانب المركبة الفضائية ، إلى حاجز السفينة ، وارتفعت القبة الزجاجية فوقها ، لتفسح الطريق لقائدها ، فقال (هولان) ، والانبهار لم يفارقه بعد :

ـ صحيح أنك لم توصلنا إلى تلك الأرض الجديدة ، ولكننى واثق من أن روايات البحَّارة والقبطان ، عما حدث فى هذه الرحلة ، ستجعل منك أسطورة لا تنمحى ، فى مستقبل كوكبنا كله .

تنهَّد الغريب ، قائلاً :

ـ هذا أكثر مما حلمت به .

ثم التقط من حقيبته ورقة ، ناول قبطان السفينة إياها ، قائلاً :

ـ هـذه الخريطـة ستسـاعدك على العودة إلـى وطنـك ، دون أن تعيق الجزر الغارقة رحلتك .. احتفظ بها ، فقد صنعها الكمبيوتر لمسارنا ، وستصبح جزءًا من تاريخ التطوّر البحرى فى كوكبك يومًا ما .

قال القبطان فى دهشة مبهورة :

ـ صنعها ماذا ؟!

ربّت الغريب على كتفه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

ـ لا عليك .. احتفظ بها فحسب .

ثم صعد إلى اللوح البرّاق ، الذى يقوده إلـى مركبتـه ، فسـأله (هولان) ، قبل أن يتجه إليها :

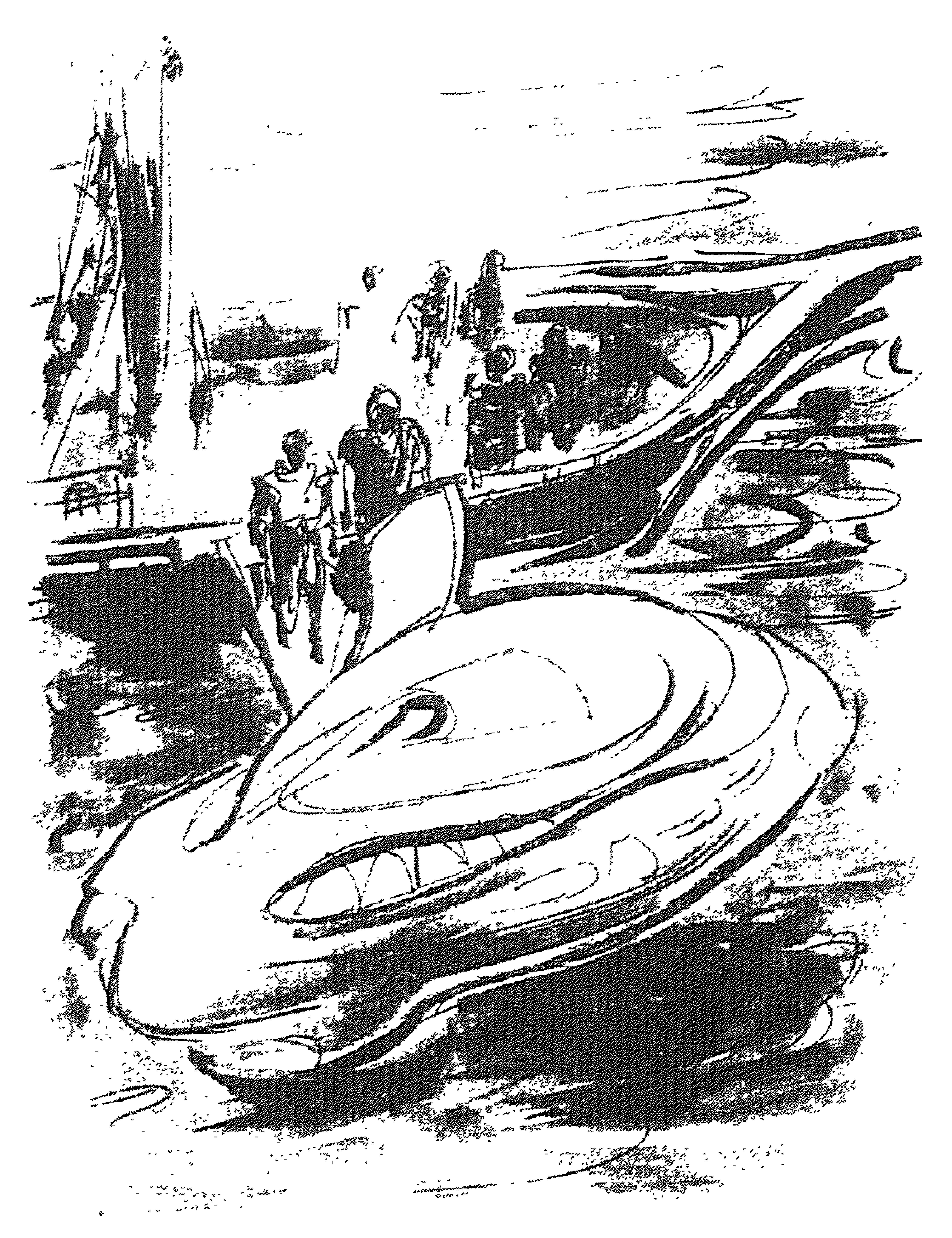
ـ ألا يمكنك أن تشبع فضولـى ، بالإجابـة عن بعض الأسئلة ، التى ما زالت تحيّرنى ؟!

أجابه الغريب فى هدوء ، وهو يسير نحو مركبته :

ـ بالتأكيد .. هات ما لديك .

قال (هولان) فى لهفة :

ـ لقد فهمت لماذا تختلف ملامحك عن ملامحنـا ، ولكن مـا هـذه النقط السوداء على رأسك .. ليس لأحدنا مثلها هنا ..



ثم صعد إلى اللوح البرّاق ، الذى يقوده إلى مركبته ..

ابتسم الغريب ، وهو يجلس على مقعد قيادة مركبته الفضائيـة ، قائلاً :

ـ الواقع أن أكثر ما أدهشنى ، عندما هبطت على كوكبكم هـذا ، هو التشـابه التشريحى المدهش بيننـا ، باستثناء أن رءوسكم أكبر حجمًا ، وعيونكم أكثر اتساعًا ، وربما يعود هذا إلى الغيوم الكثيفة ، التى لا تنقشع عن كوكبكم أبدًا ، ثم إن رءوسكم تخلو تمامًا من الشعر ، وربما للسبب نفسه أيضًا ..

قال (هولان) فى دهشة :

ـ الشعر ؟! وما هذا الشعر ؟!

أشار الغريب إلى رأسه ، قائلاً :

ـ ألياف رقيقة رفيعة ، تغطى الرءوس فى كوكبى ، ولقد اضطررت لحلقها تمامًا ، حتى لا أثير الدهشـة أو الفـزع هنـا ، ولكنهـا تعـاود النمو ، وتترك تلك النقاط السوداء عند منابتها .

سأله (هولان) ، عندما رآه يستقر على مقعد القيادة :

ـ وما اسمك الحقيقى ؟!

التقط الغريب نفسًا عميقًا ، وهو يجيب بابتسامة هادئة :

ـ (حسام) .. اسمى (حسام) .

هتف به :

ـ وما اسم ذلك الـ .. الكوكب ، الذى أتيت منه ؟!

ضغط الغريب زر إغلاق القبة الزجاجية ، وهو يجيب ، بابتسامة تتسع :

ـ اسمه كوكب الأرض .

ومع قوله ، ضغط أزرار مركبته الفضائية ، فارتفعت به عاليًا ، ثم انطلقت بفرقعة محدودة ؛ لتختفى خلف الغيوم ، التى تحيط بذلك الكوكب دومًا ؛ ولتضع مشهد النهاية ، الذى لن ينمحى من ذاكرة (هولان) والقبطان وبحَّارته قط ..

نهاية الرحلة ..

أو نهاية الأسطورة ..

أسطورة الغريب ، القادم من هناك ..

من كوكب الأرض ..

* * *

تمت بحمد الله

عزيزى القارئ (١)

أصدقائى الأعـزَّاء ..

أصدقاء الورق ..

هذا الكتاب ، الذى بين أيديكم الآن ، عدد خاص جدًّا ..

بالنسبة لى على الأقل ..

فبصدوره ، أكون قد أكملت خمسمائة عنـوان ، يصـدر عـن المؤسسة العربية الحديثة ، من خلال (روايات مصرية للجيب) ..

خمسمائة كتـاب ، صدرت فى تسعة عشر عامًا ، لم أتوقَّف خلالهـا عن الكتابة إلا قليلاً ؛ لأفرغ كل مـا اختزنـه فكـرى ، وكل مـا ورد إليه ، وكل ما تفاعلت معه وبه ، على الأوراق التى قدمتها إليكم ..

إلى كل الأصدقاء ..

خمسمائة كتاب هى إبداع ما يقرب من عشرين عامًا ..

ويا لها من أعوام !

مازلت أذكر ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، خطوتى الأولـى ، داخل مطابع المؤسسـة العربيـة الحديثـة ، فـى الثامنـة والنصـف تقريبًا ، من صباح الثامن من أغسطس ، عام ١٩٨٤م ..

ما زلت أذكر كيف استقبلنى الصديق (عادل عبد الحميد) بمودة مدهشة ، على الرغم من أنه يرانى لأوّل مرة ، وكيف سعى لإحاطتى بأكبر قدر ممكن من الرعاية والاهتمام ، حتى وصل الأستاذ (حمدى مصطفى) ..

ولقائى الأوّل بالأستاذ (حمدى) ما زال محفورًا بذاكرتى ، وهو يخبرنى أن ما كتبته توافق تمامًا مع ما أراده ، ثم وهو يسألنى عن أبطال قصتى الأولى (أشعة الموت) ، وعما إذا كنت سأستخدمهم فى كل الأعداد التالية ، مما جعلنى أدرك أننى أحيا لحظة تحوّل كبرى ، فى مسار حياتى كلها ، وليس مجرّد لحظة الفوز فى مسابقة لقصص الخيال العلمى ..

ذكريات عديدة تتداخل فى ذهنى وذاكرتى ، مع أسماء العشرات من العاملين فى المؤسسة العربية الحديثة ، من الجنود المجهولين ، الذين يعملون بكل جهد وكد وعناية ؛ لتخرج إليكم هذه الأعمال ، على أكمل وجه ممكن ..

الأستاذ (صبحى عبود) ، والحاج (فتحى) ، والحاج (عيسى) ، و(مدحت) ، و(عوف) ، وغيرهم ، ممن أكن لهم جميعًا منتهى الحب والاحترام والتقدير ..

ولأننى من المرتبطين بالأرقام المستديرة ، كما يسمونها فى اللغة الإنجليزية ، فقد كنت أنتظر صدور هذا الكتاب بمنتهى اللهفة والحماسة ..

وها هو ذا بين أيديكم ..

وكم كنت أتمنى الاحتفال بصدوره ، لو أتيحت لى الفرصة لهذا ..

الاحتفال به معكم ..

وفى النهاية ، أرسل تحية كبيرة للأستاذ (حمدى مصطفى) ، وأذكّره هنا بحوار دار بيننا ذات يوم ، منذ سبعة عشر عامًا تقريبًا ، عندما قال : إنه يتمنى أن يرى (روايات مصرية للجيب) ، وقد بلغت مائة عدد كاملة ..

وأقول له : إن اهتمامه ، وتشجيعه ، وشجاعته ، وحرصه الدائم على الجودة ، وعلى كشف المواهب الجديدة ، قد دفع بأحد أبناء (روايات مصرية للجيب) إلى إصدار كتابه رقم خمسمائة ..

وهكذا الأيام ..

★ ★ ★

● الصديقة (نورا محمد أحمد عفيفى) ـ طب الأزهر ..

هجوم شقيقك على موهبتك أمر معتاد يا (نورا) ، فكما قال الأقدمون : « لا كرامة لنبى فى وطنه » ، والمقربون للمرء دومًا ما يرفضون فكرة تمتعه بموهبة فريدة ، حتى يعترف الآخرون بهذه الموهبة ، وأنا أعتقد أن شقيقك لم يقرأ قصتك على الأرجح ، ولهذا فرأيه لا يحسم الأمر ، وكذلك رأى من قرأ قصتك ، من غير المتخصصين ، ولكن ما دامت القصة قد أعجبتهم ، ففيها حتمًا شىء ما ..

وعلى كل حال ، أرسلى قصتك يا (نورا) ، إلى مكتبى (٤ ش الإسحاقى ـ منشية البكرى ـ ١١٣٤١) ، وسأخبرك برأيى فيها هاتفيًّا ، فور قراءتى لها بإذن الله ..

★ ★ ★

● الصديق (على محمود على) ..

تحياتك وصلت لكل من طلبت .. اطمئن .. وشكرًا لك على اهتمامك .

★ ★ ★

● الصديق (عبد الله شوقى أحمد حسين السعداوى) ..

والصديق (أحمد محمد عبد النبى) ، وكلاهما من (كفر الشيخ) .

لا داعى للبحث عن قصة حياتى فى الأسواق ؛ لأننى لم أكتبها بعد ، والحديث عن وجودها فى كتاب هو شائعة محضة ، وكل ما ستجده فى معرض الكتاب القادم ، هو مذكراتى عن الفترة التى قضيتها فى صعيد مصر ، والتى ستصدر بإذن الله فى كتاب مستقل ..

★ ★ ★

● الصديق (سيد فتحى ناصف) ـ الأميرية ..

أنا أيضًا أعتز بمقالات الجاسوسية ، التى أنشرها فى مجلة الشباب يا سيِّد ، ولكن لم يتم إصدارها فى كتاب مستقل بعد ، وإن كنا نعمل على هذا فى الوقت الحالى ، من خلال (روايات مصرية للجيب) .

★ ★ ★

● الصديق أو الصديقة (M.M.S.A.S) ..

شكرًا جزيلاً على خطابك ، ولقد جذبتنى آراؤك واقتراحاتك بحق ، وكنت أتمنى لو توقع خطابك باسمك ، مع اختيار أى رمز يشار إليك به على الورق ، فمن العسير أن تنشأ صداقة بين شخصين ، يجهل أحدهما حتى اسم الآخر ..

تحياتى ، وإلى خطاب آخر بإذن الله ..

★ ★ ★

● الصديق (محمد أحمد عبد الحميد) ـ (مدينة فيصل ـ حى نجد ـ عمارة ٩٤ ـ شقة ٤ ـ محافظة السويس) .. والعنوان لهواة المراسلة ، من الذكور فقط (وفقًا لطلبه) ..

أوّل ما أنصحك به يا (محمد) هو أن تهدأ ، وأن تتوقّف عن التعامل مع الأمور بهذه الحدة ، وأن تدرك أننا جميعًا الآن أمام رقعة شطرنج عالمية ، لن يربح فيها صاحب النوايا الطيبة فقط ، ولا صاحب العقيدة السليمة وحدها ، بل سيربح فيها من يمتلك كل هذا ، مع العقل والمنطق والقدرة على حساب الأمور ، دون إفساد حساباته بتعنتات أو انفعالات لا طائل منها .

لقد انفعلنا ، وصرخنا ، وتعاطفنا ، ودعونا من أجل (العراق) ..

ثم انهزم (العراق) ..

وانهزم هزيمة ساحقة ..

ولا بد أن نتعلَّم درسًا من هذا .. على رقعة الشطرنج ..

أسئلتك كثيرة جدًّا يا (محمد) ، والإجابة عنها ستحتاج إلى عدد كامل ، لذا نختصرها في إجابات موجزة سريعة ..

أول عدد صدر من (رجل المستحيل) عام ١٩٨٤م ، واسم (أدهم صبري) له دلالة خاصة عندي ، لن يتم نشرها في الوقت الحالي ، ومبنى المخابرات المصرية الرئيسي يقع في (كوبري القبة) بالفعل ، وأنا أجيد الإنجليزية وبعض الفرنسية ، ولقد قرأت كل روايات (أجاثا كريستي) بالعربية ، أما ارتفاع سعر الدولار ، فهو يؤثِّر مباشرة في أسعار الورق ، وبالتالي في سعر الكتب ، وغيرها أيضًا ..

وأخيرًا ، بالنسبة للدراسة الخاصة بالحب ، فلست أدري سبب غضبك منها ، فالحب أمر لا يرفضه دين أو عقل أو منطق أو قانون ، وتذكَّر أن رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه وسلم) ، كان يحب السيِّدة (عائشة) (رضي اللَّه عنها) ، حب الذكر للأنثى ، ولقد أفصح عن هذا صراحة أكثر من مرة ..

حاول أن تستوعب الحكمة ..

وأن تهدأ ..

* * *

● الصديق (مصطفى يونس بسطاوى) ـ الإسكندرية ..

أوافقك تمامًا على حالة الضعف ، التى وصلنا إليها ، وأسبابها عديدة فى الواقع ، ولكن أهمها رفضنا للواقع دومًا ، وتعنتنا مع كل أمر بسيط ، وانشغالنا بعشرات القضايا الفرعية ، باعتبارها عماد الدين والدولة ، وتناسى القضية الرئيسية ، ألا وهى نعد (لهم) ما استطعنا من قوة ، ومن رباط الخيل ..

ولكن لا داعى لليأس يا (مصطفى) ..

هناك دومًا أمل ، لو اتبعنا الطرق الصحيحة ..

وتذكَّر جيِّدًا .. (لو) ..

★ ★ ★

● الصديقة (ابتسام عبده ضاحى السيد) (كلية الطب ـ سوهاج) ..

شكرًا لخطابك يا (ابتسام) ، ولقد أرسلت تحياتك بالفعل ، ولكننى لا أستطيع أن أعدك بنهاية بعينها ، للعلاقة التى تربط (أدهم) و(منى) ، فى سلسلة روايات (رجل المستحيل) ، فهذا ستحتمه تداعيات الأحداث فى حينه ..

الصورة تم إرسالها إليك بالفعل يا (ابتسام) ، مع الصور التى طلبها باقى الأصدقاء ، وبالنسبة للقصيدة ، فهناك أسباب فنية تمنع نشرها ..

ربما مع قصيدتك التالية بإذن الله ..

★ ★ ★

● الصديقة (إيمان محمد كامل الدعوش) ـ (منشأة سلطان) ..

لست أدرى في الواقع يا (إيمان) سر الإصرار على تكرار ذلك السؤال ، الذى أكدت أكثر من مرة أننى لن أجيبه ..

هل (أدهم صبرى) شخصية حقيقية ؟!

استمتعى الآن بالروايات فحسب يا (إيمان) ، حتى تحين لحظة إجابة هذا السؤال ..

والجواب ليس لك وحدك ..

إنه لكل الأصدقاء ..

بلا استثناء ..

* * *

● بطاقة تهنئة أنيقة رقيقة ، وصلت من الصديقة (رانيا على عبد الرازق على) ـ (حدائق حلوان) ..

شكرًا جزيلاً لبطاقتك وتهنئتك يا (رانيا) ، وتمنياتى لك بالتوفيق والنجاح دومًا ، بإذن الله (العلى القدير) ..

* * *

● وبطاقة أخرى ، صنعتها بأصابعها الذهبية ، الصديقة الدائمة (سماح عبد الونيس) ..

أعمالك الفنية مازالت تبهرنى دومًا يا (سماح) ، وما زلت أتنبأ لك بمستقبل فنى مهنى رائع ..

ألف شكر لك يا (سماح) ..

وبالتوفيق بإذن اللّه (سبحانه وتعالى) ..

★ ★ ★

● آخر رسالة من الصديق (على محمود على) ..

شكرًا لخطابك يا (على) ، ولتعلم أنك كنت وما زلت صديقًا دائمًا ، ومرحبًا بك على صفحات كوكتيل ٢٠٠٠

★ ★ ★

أصدقائى ..

انتهى اللقاء كالمعتاد ..

وفى نهايته أحب أن أكرِّر أمرين مهمين ..

كل الأصدقاء الذين يرغبون فى الحصول على صورة شخصية ، عليهم إرسال خطاب مستقل بهذا ، يحمل مظروفه عبارة (صورة شخصية) ..

ولقد تم إرسال الصور لكل من طلبها بهذا الأسلوب حتى الآن ، وسيتم إرسال الصور لكل من يرسل خطابًا لطلبها ، وهذا لتسهيل عملية فرز الخطابات ليس إلا ...

الأمر الثانى ، هو أننى ، ولفترة مؤقَّتة ، أعتذر عن إجابة كل الرسائل البريدية الإليكترونية ، نظرًا لظروف أتوقَّع انتهاءها مع نهاية العام بإذن اللَّه ..

تحياتى لكم جميعًا ، حتى نلتقى فى لقاء آخر ..

وكتاب قادم بإذن اللَّه ؟

د. نبيل فاروق

عزيزى القارئ (٢)

أصدقائى ..

من الجميل أن يفجّر فيكم هذا الباب كل الطاقات والمواهب ، التى تظهر واضحة فيما ترسلونه من أشعار ، ورسوم ، وقصص ، وخواطر ، ودراسات أنيقة ذكية ، تشف عن أن المستقبل يحمل لنا كل الأمل ، فى شباب اليوم ..

فيكم أنتم ..

فى أفكاركم ..

وإبداعاتكم ..

ونظرتكم للدنيا ..

وللمستقبل ..

ولا يمكنكم أن تتصوّروا مدى سعادتى وارتياحى ، عندما أقرأ عملاً جيّدًا لأحدكم ، ومدى استمتاعى بكل فكرة جديدة ، أو معالجة جريئة ، أو تحليل منطقى ..

شعور أعجز عن وصفه ، ولكنه يملأ كيانى ..

كل ذرة من كيانى ..

وعندما ابتكرت فكرة (أوسكار رجل المستحيل) ، كانت مجرد وسيلة ، لتقديم التهنئة والتقدير لكل المتميزين ، فى مجالات الإبداع المختلفة ..

والآن ، وبمناسبة صدور الكتاب رقم خمسمائة بالنسبة لى ، من (روايات مصرية للجيب) ، أفكّر فى الاحتفال بالمناسبة مع كل الأصدقاء ، الذين فازوا بجائزة الأوسكار ..

لذا ، أكرِّر طلبى ، من كل من حصل على الجائزة ، سواء الذهبية ، أو الفضية ، أو البرونزية ، بالاتصال بالمؤسسة العربية الحديثة ، وترك اسمه وعنوانه ، حتى تصله دعوة الحفل فى موعدها بإذن الله ..

أما بالنسبة للأصدقاء ، الذين لم يتسلّموا جوائزهم بعد ، فأرجو تحديد هذا عند الاتصال ، حتى يتم منحهم الجوائز خلال الحفل بإذن الله ..

وتحياتى لكم جميعًا ..

لكل الفائزين ..

وكل الأصدقاء ..

بلا استثناء ..

* * *

قبل أن أبدأ فى استعراض أعمالكم هذه المرة ، لا بد أن أشير إلى أن الخطابات قد حملت لى مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

ومفرحة ..

فالأعمال المبتكرة والمتميِّزة كانت عديدة بالفعل ، حتى إن المجموعة الأولى من الخطابات قد غطت كل المساحة المتاحة لنا لهذا العمل ، مما اضطرنى ، وربما لأوَّل مرة ، إلى تأجيل عدد كبير من الخطابات ، ومن الأعمال الجيِّدة ، إلى الكتاب القادم بإذن الله ..

ولأن الكتاب القادم سيصدر فى معرض الكتاب ٢٠٠٤ ، فمن المحتمل أن تضاعف المساحة المتاحة لنشر أعمالكم فيه ، أو نصدر ملحقًا ، أحلم بإصداره دومًا ، يضمّ أعمالكم وحدها ..

المهم أن هذا يعنى أنكم تتطوَّرون ..

وأن بابنا المتواضع هذا يؤتى ثماره ..

وهذه أجمل جائزة ، يمكن أن يحصل عليها المرء ..

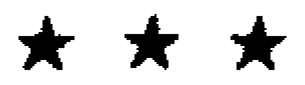
على الإطلاق ..

★ ★ ★

لقاؤنا الأوَّل مع (رسالة إليك) ، وهو عنوان الخواطر ، التى أرسلها الصديق (وليد رمضان إبراهيم) ـ (تجارة طنطا) ..

(وليد) أرسل عددًا من الأعمال ، اخترت لكم منها هذه الرسالة ..

القصيرة ..



رسالة إليك

عزيزتى /

يخدعك من يقول لك إنه يحب جمال وجهك أو جسدك ، يخدعك من يقول إنه يعشق جمالك إلى الأبد ..

لأنه وببساطة يعلم جيّدًا ونعلم جميعًا أن الجمال مهما طال به الزمان فسوف يأتى عليه يوم ويفنى ويصير كأن لم يكن ..

والجسد الذى أذهل الدنيا سوف يأتى يوم ويذبل ويصير عدمًا ..

إذن فحينما يقولها لك عابث أو مدع فاعلمى أنه يعلنها صراحة :

إننى أحبك لفترة ما ..

إلى أن ينقص جمال وجهك ويذبل بريق عينيك وتختفى استدارة خصرك وبعد ذلك ربما لا أستطيع النظر إليك ..

أما أنا ..

أما أنا فأنا أعشقك وأحبك حبًّا أبديًّا ..

فأنا من ترك الظاهر وعشق الباطن ..

تركت جمال الوجه والجسد وأحببت فيك الروح الباقية ..

فلك حبيبتى حرية الاختيار .

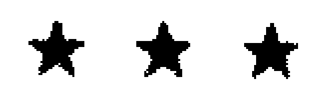
حبيبك ..

★ ★ ★

ومن (رسالة) (وليد) إلى (أمنية) (عمر محمد سويلم) — نجع حمّادى ..

و(أمنية) هو عنوان الخواطر الرومانسية الجميلة، التى أرسلها (عمر)؛ ليعبِّر بها عن مشاعر سنه، وتداعيات عمره، و...

وأمنيته ..





تمنيت هذا منذ اللحظة الأولى، تمنيت كثيرًا أن يحدث، ولكن كيف له أن يحدث ؟ لقد تملكتنى الأمنية عندما كنت سائرًا فى الطريق تائه الغاية منكسرًا منعزلاً راغبًا عن الحياة، وكأن السماء انكسرت والأرض انشقت والبحور جفت وانتهت الحياة على وجه البسيطة .. ورأيتها .. فقط لحظة الرؤية هى التى جعلتنى أشعر بنفسى، هى التى أقامت ما هدّمته غيلان الظروف .. عندما رأيتها شعرت بزهور قلبى الذابلة يحركها نسيم شعرها الناعم، شعرت بيدها الرقيقة تلملم بقايا قلبى المحطم .. فانطلق قلبى للنبض من جديد .. نبض حمل معه دم الحياة لجوارحى .. نبض أعاد إلىَّ الحماسة والروح .. نبض أحيا الإحساس والشعور لدى بعد طول انتظار .. فقط لرؤيتها .. شعرت بتروس عقلى المعطلة يحركها فكرى السارح فى اللقاء الجميل .. شعرت بعيونى تغنى غزلاً لجمال ما رأت .. ولكنها مضت، تركتنى .. لم تتركنى على حالى القديم ..

فهيهات الفرق ، فقديمًا كنت وحيدًا شريرًا لايهمنى شىء ، لا أعبأ بشىء لأن قلبى وعقلى وروحى فقدوا ما ينعشهم بالأمل والطموح ، وهذا ما أعطتنى إياه .. الأمل والطموح والعمل من أجل الهدف ..

لقد وجدت الحلقة المفقودة فى سلسلة حياتى الصدئة .. إنها هى الحلقة الذهبية التى أعادت وصل ما قطّعته سيوف الظروف القاصمة .. بعد اللقاء أصبحت أعمل وأكد وأجد من أجل هدفٍ فى الحياة ، هدفٍ سما بروحى من قاع الضياع إلى قمة الأمل .. هذا هو التغيير الذى أحدثته فى حياتى ووهبتنى إياه .. إنها المحور الذى أدار فكرى وعمرى كله نحو وجهة جديدة ، تلك التى تنظر للحياة بمنظور زهرى بديع ، منظور الأحباب الطامحين فى اللقاء ..

أما أمنيتى التى طالما حلمت بها بعد لقاء اللحظة هى أن أكون أنا وردة وأن تصبح هى زهرة يجمع بيننا غصن وارف نضر ، غصن الأمل والوفاء فى شجرة الحب والعطاء .. إن كان ذاك فنحيا العمر السعيد معًا ، نستقى ماءً عذبًا واحدًا تذوب فيه قلوبنا .. أحميها بأوراقى من رياح الزمان الغادرة .. أذود عنها بأشواكى لتحيا ومعها تحيا الذكرى والأمنية .. فإلى أن تتحقق هذه الأمنية ستنتظر عيناى .. ويفكر عقلى .. ويحلم قلبى .. فقط بالأمنية .

* * *

من المدهش أن ننتقل من أمنية رومانسية ، إلى (الكابوس) ، الذى أرسله الصديق (مؤمن محمود سعد) ـ (سوهاج) ..

و(الكابوس) قصة قصيرة جدًا ، ولكن فكرتها جيِّدة جدًا يا (مؤمن) ..

وبالذات النهاية ..

★ ★ ★

الكابوس :

قبع فى ركن زنزانته وأراح رأسه على ذراعيه المتشابكين ..

فجأة انفتح باب الزنزانة ، وعلا صوت جهورى يقول : فلان الفلانى .. (هذا الشاويش مضحك شكله ..) ..

هذا ما جال بفكره ، وهو يقف فى تثاقل ويسير باتجاه الباب المفتوح ..

(لقد حانت اللحظة إياها وهو يحاول أن يتشاغل عن كل شىء حتى جريمته التى ألقته فى السجن وحكمت عليه بالإعدام ..)

مقلته خالية من أى دموع ..

« هل تريد شيئًا ما قبل تنفيذ الحكم ؟ »

أوقف هذا السؤال الزمن بالنسبة للجميع ما عدا هو ..

« ليس لى إلا زوجتى .. ولا أريدها أن ترانى فى حالتى هذه .. »

« ردد الشهادتين إذن .. »

وتم كل شىءٍ فى سرعة .. نعومة .. انسيابية عدا شيئًا واحدًا .. عندما نُفذ الحكم واختطف الحبل روحه ..

كانت لحظة ألم حقيقية ..

« استيقظ .. »

قالتها زوجته والدموع تغرق وجهها ..

وقف فى سرعة قائلاً :

« الحمد لله .. لقد انتهى الكابوس .. »

قالها فى مرح ثم انعقد حاجباه .. إنه فى سجن ، نظر لجسده فوجده متسربلاً بالبذلة الحمراء ..

« هذا ما رغبته .. أن ترى زوجتك .. وها هى البائسة .. »

« أين أنا ؟ »

انتحبت زوجته أكثر والشاويش المضحك يقول :

« فى حجرة الإعدام .. »

ونظر فيما حوله .. لقد أدرك الحقيقة ..

أدرك أن الكابوس لم ينته ..

وإنما بدأ ..

الآن .

★ ★ ★

تمت بحمد الله

الصديقة (علا منير إسماعيل) ، والتى سبق لها الفوز بأوسكار رجل المستحيل الفضية (ولم تتسلَّمها بعد) ، أرسلت أغنية أعجبتنى جدًّا ، وأردت أن تشاركونى الاستمتاع بها ..

من الواضح أنك فى سبيلك إلى التميُّز ، فى هذا النوع من الأعمال يا (عُلا) ، واصلى الإنتاج ، وأخبرينا بعنوانك ورقم هاتفك للضرورة ..

★ ★ ★

اصح يا ضمير الإنسان

حاسس بأن الكون عايش على جرحنا
لازم هيجى يوم يعود لنا مجدنا
عروبتنا فى كل مكان عزة وعدل وإيمان
نفديها بنفوسنا وروحنا نحميها من العدوان

★ ★ ★

اصح يا ضمير الإنسان اصح وفى كل مكان
دافع عن حقى وحقك دافع فالعادى جبان
يا سلم احمى أرضك الصرب بينهش عرضك
يهودى خسيس داس حرمك قدس الأقداس ضاع منك

★ ★ ★

فاضل إيه تبكى عليـــه ودموعـك جفت ليـــه

الظلم ليـه عايش فيـــه ليـه طريقـك كلـه ظلام

اصـح يا ضمير الإنسان اصـــح وفى كل مكان

★ ★ ★

اصحى خطـط واتمــــرد حـارب واطـرد محتـلك

دافـع عن ابنى وابنــــك احمى مستقبل أرضـك

اصرخ وبكـل عزيمتــك ابنى شموخك وكرامتـك

اصـح يا ضمير الإنسان اصــــح وفى كل مكـان

★ ★ ★

تفوّق ملحوظ للجنس الناعم ، فى هذا العدد ، بمحض الصدفة ، وبالذات عندما ترسل الصديقـة (أسـماء محمـود محمـد) ـ (بنـى سويف) ، أول تعقيب على الدراسة الخاصة بالحب (حبيبى) ..

وتعقيب (أسماء) هو فـى حـد ذاتـه دراسـة ميدانيـة ، لا بد أن تقرءوها بأنفسكم ..

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف يبدأ الحب

منذ خلق الله آدم وحواء وهنا نشأ الحب بينهما ، فقد كان آدم يعيش وحده حتى أنعم الله عليه بشريك يؤنس وحدته ، فخلق حواء من ضلعه (الأقصر الأيسر) حتى تؤنسه وتشاركه حياته ، ومن هنا يبدأ الحب .

لقد خلقت حواء من آدم أى أنها جزء منه ، لذلك فكل رجل ينقصه ذلك الجزء حتى يأتى اليوم ويلتقى بهذا الجزء الآخر منه فيكمله ، وهذا هو الحب ، ولكن بعض الناس تترجم المشاعر التى تحس بها ترجمة خاطئة ، فيمكن أن يعجب الرجل بأى امرأة أو العكس ، ولكن هذا لا يعنى أنه قد أحبها وأنه قد وجد الجزء الذى ينقصه ؛ لأن المشاعر تختلف ، إن الحب هو إحساس حقيقى بالقرب من مَن يحب ، وليس مجرد الإعجاب به فقط سواء لجمال الوجه أو الروح أو قوة الشخصية .

إن الحب إحساس يملك صاحبه من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، شعور يجعل الإنسان فى حالة انعزال عن العالم لا يشعر بمن حوله ، يشعر فقط بمن يحب ، ويود دائمًا أن يجلس معه ويتحدث إليه ، وإن سنحت له الفرصة ود لو يتوقف الزمن ، لو تتوقف الأرض عن الدوران حتى يظل مع من يحب أطول وقت ممكن ، وفى نفس الوقت يقبل من يحب بكل مميزاته وعيوبه ، وأن يحب الشخص وليس أى جانب آخر ، أن يحب لأجل الحب وليس لأنه يتسلى ويشبع نزواته ورغباته .

وعن آراء الأصدقاء والصديقات في كيفية بدء الحب تقول أسماء سعيد بالصف الثانى الثانوى : إن الحب يبدأ بإعجاب ، وأنا أتعارض مع هذا الرأى ؛ لأن الحب شعور آخر يختلف تمامًا عن الإعجاب فى أنه يدوم ، أما الإعجاب فهو شعور وليد الموقف ، فالإنسان يعجب بآخر لمجرد النظر إليه أو سماع كلامه وليس معاشرته ..

وتقول رحاب نور الدين بالصف الثانى الثانوى : إنها لا تعلم كيف يبدأ الحب ، وأنا أؤيد رأيها لأنها لم ولن تجرب الحب فى هذا العمر أبدًا ..

وتقول سارة عبد المنعم بالصف الثانى الثانوى : إن الحب يبدأ بنظرة ، وأنا أيضًا أتعارض مع هذا الرأى ؛ لأن النظرة معناها إعجاب بالمظهر وليس بالجوهر وهذا يتنافى تمامًا مع مفهوم الحب ، ولا يعنى أيضًا إعجابًا لأنها مجرد نظرة ..

وتقول أسماء محمد : إن الحب يبدأ بحدوث توافق فى الآراء بين المحب ومحبوبه ، وأنا أتعارض مع هذا الرأى لأن التوافق فى الآراء يمكن أن يحدث مع أى شخصين دون أن يهتز أى منهما أو يشعر تجاه الآخر بأى شعور ، كما تقول : إنه يبدأ بحدوث تبادل فى الاحترام ، وأنا أتعارض أيضًا مع هذا الرأى لأن الاحترام يمكن أن يكون بين مدرس وتلميذته والعكس ، وهذا لا يعتبر بداية حب .. كما تقول أيضًا : إنه يكون عبارة عن خوف من المحبوب على محبوبه، وأنا أتفق مع هذا الرأى وخاصة لو كان هذا الخوف ليس له ما يبرره سوى شعور داخلى ..

أما عن رأى كل منهن فى الحب فتقول الصديقة أسماء سعيد : إنها تؤيد الحب بشدة بل وتلزم بوجوده .. وتقول سارة عبد المنعم : إنها تؤيد الحب وبشدة .. وتقول رحاب نور الدين : إنها لا تؤيد الحب ، وأنا أريد أن أطرح عليها سؤالاً حتى تطرحه هى على نفسها : « يا أخت رحاب لماذا لا تؤيدين الحب ؟ »

وتقول أسماء محمد : إنها تؤيده بل وتقول إنه الحياة ..

وأما عن رأيى أنا فأقول : إن الحب أسمى معنى لعلاقة الرجل بالمرأة ؛ لأن الحب هو مشاعر يتصرف بها المحب دون تدخل من عقله الذى يؤرقه كثيرًا بقائمة الممنوعات، فهو يتخطى كل الحواجز ، ويتصرف بجنون محبوب ليشعر من يحب بحبه ، فهو فى هذا الوقت يفعل ما يمليه عليه قلبه الذى يحترق، وأنا من مؤيدى الحب بشدة لأن الحب اهتزاز لكيان الإنسان ، تغيير شامل لكل المعانى بداخله حتى ولو كان هذا الحب احتراقًا ..

ولقد سألت كل منهن إن كان سيأتى عليها يوم وتحب ، وهل تقبل الأسرة ذلك ؟ فقالت أسماء سعيد : إنها سوف تحب فى يوم من الأيام كما أنه من الممكن لو أنها أحبت أن تؤيد أسرتها هذا .. وتقول سارة عبد المنعم : بالتأكيد سوف يأتى يوم وتحب ، ولكنها تقول بشأن موافقة أسرتها على ذلك : إن أسرتها طبعًا سوف ترفض .. وتقول رحاب نور الدين : إنه لن يأتى يوم وتحب أبدًا وإن أسرتها سوف ترفضه بشدة .. وتقول أسماء محمد : إنها بالفعل سوف تحب بل وتؤيد أسرتها هذا .

وبمناسبة الحديث عن هذه النقطة السابقة ، فرأيى أنا فى ذلك أننى سيأتى يوم إما أن أحرق أو أحترق أو أنعم ، فأنا سوف أحرق لو أن أى شخص أحبنى وأنا لم أحس بمشاعره ، وسوف أحترق إذا أحببت ولم يحس بى من أحب ، وسوف أنعم إن تبادلت الحب مع من أحب ، ولكن فى النهاية لن أحيا بدون حب ، وسوف توافق الأسرة ولكن بحدود فى العلاقة حتى الارتباط الرسمى ..

« الحب والمجتمع »

لقد سبق أن أخذت رأى الصديقات فى أنهن لو أحببن فهل ستؤيد الأسرة هذا أم لا ، فجاءت الإجابات بالنفى والأقلية بالإمكان والأقلية القليلة جدًّا بالإيجاب ، أما لو عكسنا الأوضاع وكان الولد هو الذى يحب لاختلفت الموازين تمامًا فتكون الكثرة بالإيجاب ونادرًا جدًّا بما لا يتعدى ٠٠١,٪ بالنفى وهنا نجد التفرقة فى المجتمع بين الشاب والفتاة ، فلو أن الشاب قد أحب فتاة وباح لها بما فى أعماقه وما يجيش فى صدره لكان عليها فقط أن ترفض أو تؤيد ويفرح الأهل والجيران والأحباب بهذا الحب لأنه شىء عادى بل ودليل نضوجه ورجولته ..

أما الفتاة فالويل كل الويل لها لو أشارت إلى الحب أو أنها حاولت مجرد محاولة أن تشعر من تحب بحبها ، فينقلب ضدها كل من يلاحظ ذلك ويتهمونها بأنها قد أسرفت فى ما فعلت برغم أنه يمكن أن يكون كل ما فعلته هو أن ابتسمت له تحيّيه فى الصباح ، ولكن كعادة المجتمع يثور على هذه الفتاة الضالة الفاسدة التى تبوح بحبها لذا أقول لكل الفتيات .. « أحببن فى صمت .. »

وفى هذه السطور عبرنا عن بعض مضمون الحب وإلى اللقاء فى سطور قادمة .

* * *

ومن (أسماء) إلى (سلسبيل أمين الرجيلى) ـ (مصر الجديدة) ..

و(سلسبيل) أرسلت خواطر ممتازة ، مكتوبة برومانسية شديدة ..

اقرءوها معى ، وانظروا بأنفسكم ..

* * *

خـواطـر

لا أدرى لماذا يغمرنى اليأس والحزن فى بحور عميقة لا قرار لها ، فأمد يدى لأتشبث بطوق النجاة فلا أجده ، فأقول لنفسى : لا تستسلمى لليأس يا فتاة ، قاومى ، مرة واثنتين ، حاولى أن تستجمعى إرادتك وتجمعى شتاتك .. ولكن ، أين أنا الآن ؟! ها قد طفوت على السطح مرة أخرى ، فالحمد لله العظيم ، ولكنى لا أرى شيئًا ، فالظلام يحيط بى من كل جانب ، والخوف يملأ قلبى .. فسرت على غير هدى ، أتخبط فى الجوانب ، وتمزقنى الهواجس ، هأنذا أرى ضوءًا من بعيد ، فتمسكت بالأمل ، وسرت وراء هذا الشعاع ، وأنا أدعو الله ألا يكون سرابًا ..

ولكنه كان حقيقة ، فالشمس تخرج من جوف الأرض ، وكأنها

تولد من جديد ، ويشرق معها الأمل في نفسي ليبدد الظلام الذي يكتنفني ، ولكن هذه الولادة داخلي كانت متعثرة حقًا ..

وخرجت الشمس من مخبئها ، فأنارت الكون الواسع الفسيح من حولي ، وتبدَّد الظلام ، فإذا بي وسط الطبيعة الساحرة ، مكان كالفردوس ، تقف فيه الأشجار الجميلة وكأنها فتيات حسان ، تتمايل في دلال ، تتفاخر بثيابها المزركشة ، تمد لي أغصانها وكأنها تحاول مد يد السعادة إليَّ ، فامتلأت نفسي بهجةً وسرورًا ، وانطلقت على البساط الأخضر كالعصفور ، أحس وكأنني أطير من شدة السعادة ، وقد نبت لي جناحان مثل الطيور المغردة ..

ولمحت شيئًا يتلألأ من بعيد ، فأسرعت إليه ، وأخذت الصورة تتضح شيئًا فشيئًا ، ثم وجدت نفسي أمام نهر خلاب ، تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية في مشهد رائع يخطف الأنفاس ، فجلست مدهوشة على حافة النهر وارتشفت بضع قطرات من مياهه الصافية النقية ، فأحسست بالسكينة تغمرني والطمأنينة تحوطني من كل جانب ، يا إلهي ، ربي العظيم ، ما أعظم مقدرتك ! ، وما أجمل خلقك ! اغفر لي خطاياي يا ربي واغمرني برحمتك وحكمتك .. كم قصرت في عبادتك ، وكم ابتعدت عن طريقك ، ولكني أدركت حقيقة نفسي الشقية ، فهل تقبل توبتي ؟! إنك أنت الغفور الرحيم .. وانتبهت من أفكاري على تغريد بلبل صغير جاء من السماء ليحط على الحشائش بجانبي ، فنظرت إليه وقد اكتملت

سعادتى ، إننى سأواجه الحياة بكل شجاعة ولن أهرب .. وفجأة تبدل المشهد من حولى ، ووجدت نفسى داخل ذلك البحر العميق مرة أخرى ، أصارع أمواجه المتلاطمة ، فصرخت فى نفسى .. لاااا ، إنك هذه المرة تملكين أقوى سلاح وأمضى سيف ، إنه سلاح الإيمان وسيف اليقين ، وما هذا إلا لعب من الشيطان يحاول إغواء المؤمنين ، فقاومت ، تذكرت رحمة اللّه (تعالى) ، تذكرت الشمس الوليدة ، تذكرت الأشجار المتهامسة ، تذكرت النهر المتلألئ ، وجاهدت نفسى ، حتى انتهى كل ذلك فجأة ، ولا شىء إلا العدم !

« ابنتى » سمعت صوت أمى من بعيد ولكنى لا أستطيع الاقتراب ، فأنا وسط فراغ رهيب لانهاية له ، وفضاء سرمدى ممتد ، « حبيبتى » رنت هذه الكلمة فى أذنى بدوى أعلى ، فاستجمعت قوتى وشجاعتى ، وحاولت النطق ، ولكن كأنما عقد لسانى .. « ماذا بك ؟ » هذه المرة خرجت الكلمة من أعماق قلبى مباشرة وصرخت « أمى ! » وفتحت عينى ، فإذا بى داخل سريرى ، تنظر إلى أمى فى حنان ولهفة ، وقد بدا وجهها مثالاً مجسمًا للحب والرحمة ، فنظرت إليها فى امتنان والدموع تتراقص فى عينى ثم تنسال على خدى فى صمت ، وأنا أسترجع فى عقلى ذلك الكابوس ..

ولكن أكان كابوسًا حقًا أم حلمًا جميلاً ، قاومت فيه نفسى الشقية وعرفت حقيقتها ؟

ودون كلمات فهمت أمى ما يدور داخل عقلى من صراع ، وما يستعر فى قلبى من نيران ، فضمتنى إلى صدرها ، فشعرت بالارتياح وتحررت دموعى المتحجرة من عقالها ، وأحسست بين ذراعى أمى الإحساس ذاته الذى كان يراودنى داخل الحلم وأنا فى الفردوس .. إننى فى أمان الآن ..

* * *

واستمرارًا لسيطرة الجنس اللطيف ، واستغراقًا فى الخواطر الممتازة ، التى زخرت بها رسائلكم هذه المرة ، دعونا نطالع معًا ما أرسلته الصديقة (بسمة محمد محمد المهدى)ـ (بنها) ، بعنوان (لا شىء) ..

بل هو شىء يا (بسمة) ..

وشىء جيِّد ..

جدًّا ..

* * *

لا شىء

حين يموت قلبك بين ضلوعك ، تسجن بين جنبيك دموعك ، ترفض أن يرى الكون صدوعك ، تدفن ضعفك تحت شموخك ..

حين يتهدم داخلك كل كيانك ، ترى الدهر وهو يدمر كل مقدساتك ، ينبش قبور أمواتك ، يهرس تحت قدميه كل أحشائك ..

حين تموت كل لحظة ألف مرة ، ترى كل حلاوة الكون مرة ، تحترق داخلك كل ذرة ، تود ولو تغوص فى أعماق البحار وتسحق كل درة ..

حين ترى وليدك بين يديك يحتضر ، ترى كل نور العالم ينحسر ، تجد كل الشموع تحت دمائك تنصهر ، تشعر أن بركانك ينفجر ، وأن قنديلك أمام عينيك ينكسر ..

حين تلوم كل أيامك ، ترفض أن تخضع لأشجانك ، تتلاشى أمام عينيك كل أحلامك ، توقن أنك كنت تعيش داخل أوهامك ، وأن أحدًا لا يروى أزهارك ..

حين تقتل كل شىء من أجل شىء واحد ، تهدر كل شىء من أجل شىء واحد ، تخسر كل شىء من أجل شىء واحد ، لا تبالى بأى شىء إلا شىء واحد ، تظلم الدنيا أمام عينيك وتصبح لا ترى سوى شىء واحد ، ثم تكتشف أن ذلك الشىء كان لا شىء ..

حين تعلم أنه برغم كل آلامك ، برغم كل أحزانك ، برغم كل أناتك ، برغم كل عذابك .. لا بد أن ينبض القلب بين الضلوع ، لا بد أن تسجن كل الدموع ، لا بد أن تزيح كل الصدوع ، لا بد أن تدفن ثم تنهض فى شموخ ..

حين تراقب كل الدنيا ، بكل ما فيها ، ومن عليها ، ومن غاب عنها ..

وهى تنكمش وتتضاءل وتبتعد وتغيب وتتلاشى ، وتكون كأن لم تكن وكأنها كانت لا شىء وصارت لا شىء ..

★ ★ ★

ولكسر احتكار الجنس الناعم ، إليكم قصة قصيرة ، للصديق (أحمد محمود محمد جاد) ـ تجارة القاهرة ..

ألو (0900) هو عنوان قصة (أحمد) ، التى اخترتها من بين ما أرسله من أعمال ..

أعمالك جيِّدة إلى حد كبير يا (أحمد) ، واصل الإنتاج ، وستجد موقعًا على ساحة الأدب ، فى القريب العاجل بإذن اللّه ..

★ ★ ★

ألو 0900

إهداء : إلى أصحاب ومروّجى مسابقات وإعلانات 0900 أهدى أغنية « لك يوم يا ظالم » وهذه القصة ..

★ ★ ★

« أهلاً بكم فى مسابقة 0900 »

دوى صوت المذيعة الحسناء فى التليفزيون وهى تعلن عن إحدى مسابقات 0900 ..

سؤال حلقة اليوم هو : من هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية :

١ـ رونالدو ..

٢ـ مصطفى كامل ..

٣ـ جورج بوش ..

« اتصل بنا خلال الـ ٢٤ ساعة لتربح جوائز قيمة كل منها ١٠٠٠٠جنيه .. اتصل الآن معنا إنت كسبان كسبان .. »

سمعت المسابقة وبسرعة رفعت سماعة الهاتف وقمت بطلب الرقم وانتظرت بعض الوقت حتى ردّ علىّ أحدهم فقلت :

ـ ألو 0900

ردّ علىّ صوت معدنى نسائى بعد وقت طويل من الموسيقى الهادئة :

ـ شكرًا لكم لاختيار مسابقة 0900 التى تتشرف بقبول إجاباتكم على هذا الرقم ـ 0900 ـ ونعدكم بفرص أفضل دائمًا حتى تربحوا معنا جوائز قيمة قد تصل إلى ١٠٠٠٠جنيه .. سؤال اليوم هو : من هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية : ١ ـ رونالدو ٢ـ مصطفى كامل ٣ ـ جورج بوش . إذا كانت إجابتك رونالدو يرجى ضغط الرقم ١ وإذا كانت مصطفى كامل فاضغط الرقم ٢ وإذا كانت الإجابة هى جورج بوش فاضغط الرقم ٣

سارعت بضغط الرقم ٣ فردّت علىّ قائلة : لقد اخترت جورج بوش وذلك بالضغط على الرقم ٣ .. إذا أردت العودة للسؤال الأصلى فاضغط الرقم ١ وإذا أردت الخروج من المسابقة فاضغط الرقم ٢ وإذا أردت تأكيد السؤال فاضغط الرقم ٣

سارعت بضغط الرقم ٣ فردت علىّ قائلة :

ـ لقد أجبت الإجابة الصحيحة وهى رقم ٣ جورج بوش شكرًا لك

لاستخدامك رقمنا ومشاركتك فى مسابقة 0900 التى يمكنك من خلالها كسب جوائز قيمة تصل قيمتها إلى ١٠٠٠٠جنيه اتصل بنا دائمًا معنا إنت كسبان كسبان ..

أغلقت سماعة الهاتف وأنا أنظر إلى ساعتى ، لقد تجاوزتُ هذه المرة الدقائق العشر ، ولقد كانت الدقيقة بجنيه ونصف هذه المرة ..

ذهبت إلى الحمام ونظرت لنفسى فى تحسر وأنا أتذكر أننى فى يوم من الأيام كنت موظفًا ملتزمًا محبوبًا من الجميع حتى ظهرت هذه المسابقة .. منذ ذلك اليوم وأنا أحلم بذلك اليوم الذى أفوز فيه بمبلغ كهذا لأبدأ مشروعًا صغيرًا أو أتزوج أو أفعل أى شىء به ، ولكن ماذا أقول ؟ إننى أدفع شهريًا ما قيمته ٣٠٠ (ثلاثمائة) جنيه على هذه الخدمة فقط وأنا أدفعها بصفة منتظمة منذ حوالى عام ونصف العام ، كل هذا على أمل واحد وهو أن أفوز فى يوم من الأيام .

أخذت بعض الماء ومسحت به وجهى وأنا أنظر لنفسى وأتساءل ترى ماذا حدث لى لأفعل كل هذا ؟ لماذا لم أدخر هذه النقود ؟ لماذا حاولت أن أمضى فى سبيل الكسب السريع ؟ لماذا ؟ لماذا ؟!

مسحت وجهى وعدت للنظر فى المرآة وأنا أقول لنفسى :

ـ كلا لن أتصل بهذا الرقم ثانية ، و سأعمل بجد وسأدخر حتى أحقق كل أحلامى وطموحاتى ، نعم هذا هو بالضبط ما سأفعله ..

كانت هذه آخر كلماتى لنفسى عندما سمعت إعلانًا آخر عن 0900 والسؤال هو : من هو المنتخب الذى فاز بكأس العالم ٥ مرات ويسمى بفريق السامبا : ١ـ منتخب مصر ٢ـ منتخب البرازيل ٣ـ منتخب بوركينا فاسو اتصل بنا الآن معنا أنت دائمًا كسبان ..

أسرعت إلى الهاتف ورفعت السماعة وطلبت الرقم وانتظرت قليلاً حتى سمعت صوت من يرد فأسرعت قائلاً :

ـ ألو 0900 .

تمت بحمد الله

أحمد محمود محمد جاد

كلية التجارة ـ جامعة القاهرة

فرع بنى سويف (الفرقة الأولى)

★ ★ ★

الصديقة (أسماء مصطفى) ـ الإسكندرية ، أرسلت قصة رومانسية ، بعنوان ذكريات ..

قصتك ، على الرغم من بساطتها ، جميلة جدًا يا (أسماء) ، وتلتقط لمحة مألوفة ، من حياتنا العاطفية ، ولكن ندر أن يجد من يسجلها بهذا الوضوح وهذه التلقائية ..



ذكريات

كانت تجلس فى قاعة المحاضرات جميلة .. أنيقة جدًا .. وكانت تبتسم تلك الابتسامة الساخرة لكل من حولها ..

فهى جميلة بالفعل .. وهى أيضًا كانت تدرك أنها جميلة وجذابة .. الكل يتهافت عليها .. الكل ينظر إليها نظرة مليئة بالإعجاب والانبهار .. والجميع يريدون أن يتحدثوا معها وبعضهم يأمل أن تلقى حتى ولو نظرة إليه ..

وكل هذا كان يرضى كبرياءها .. فهى كانت تتعامل معهم على هذا الأساس .. وكانت تعتقد أنها هى الأعلى دائمًا ..

وعلى هذا فإن بعض أصدقائها الفتيات ابتعدن عنها قليلاً .. إلا (سلوى) تلك الفتاة بسيطة الملبس هادئة الطباع فهى التى كانت دائمًا معها بالرغم من اختلافهما فى كثير من الأشياء ..

ولكنها فضلت أن تبقى معها وتساعدها على الخروج من دائرة الأضواء التى طالما ترمى نفسها بداخلها .

ثلاث سنوات مرت وهى فى الجامعة ..

الكل معجب بها ..

الشباب يلاحقونها فى كل مكان يريدون حتى ولو نظرة .. والفتيات

معجبات بها ولكنهن يفضلن الابتعاد عنهـا نظرًا لكبريائها الزائـد وبالرغم من كل الأضواء والألوان الزاهية التى تحيط بهـا إلا أنهـا كانت تلاحظه هو ..

ذلك الشاب الوسيم الذى كان يبدو من مظهره أنـه ينتمـى إلـى الطبقة المتوسطة فى المجتمع ..

ثلاث سنوات مرت وهى تلاحظه بل تراقبه ..

فهو نشيط فى دراسته .. يمتلك العديد من المواهب التى تجـذب الناس إليه ، وبالرغم من هذا فهو هادئ جدًا وبسيط ..

والذى جذبها إليه ليس مظهره ولا ذكاؤه ولا حتى الموهبة التـى يمتلكها ، فالشىء الوحيد الذى أعجبها فيه أنـه طالمـا يتجاهلها أو بـالمعنى الصحيح لا يشعر بهـا .. علـى الرغـم مـن أن الكـل يتصارع عليها إلا أنه على مدار سـنوات الكليـة كـان يراهـا كبـاقى الفتيات فى الكلية ..

فقليـلاً مـا ينظـر إليهـا حتـى ولـو فعل لـم تـر فـى عينيـه نظــرة الإعجاب التى تراها فى أعين الآخرين ..

فهو بالفعل جذبها وشدها إليه بقوة شديدة ..

وفى هذا اليوم كانت تقف مع صحبة من الفتيات والفتيان وكـان الكل يتحدث إليها .. والكل يريد أن يظهر فى أحسن صورة .. ومن بعيد لمحته واهتز جسدها كله فى هذه المرة ..

فهو كان يرسم على شفتيه ابتسامة وسيمة وكان يقترب إليها في بطء شديد وكأنه سوف يأتى ويتحدث إليها ..

وغاب عقلها فى السنوات التى مرت وهى تريد أن يتحدثا معًا ، كم كانت تشتاق إليه ..

كم كانت تحبه ..

واستيقظ عقلها فجأة مع زيادة ضربات قلبها عندما أقبل عليها وما زالت الابتسامة مرسومة على شفتيه ..

ـ صباح الخير يا آنسة (مروة) .

فغاب عقلها مرة أخرى وكأنها لم تسمعه كما أنها تناست مجموعة الأصدقاء المحيطين بها ..

وتبدو وكأنها خرجت من هذا العالم وتخيلت عالمًا آخر يجمعهما معًا ..

نظر إليها وقطع الصمت الذى طال ..

ـ آنسة (مروة) .

ـ هه .

ـ صباح الخير .

ـ صباح النور يا محمو ... يا أستاذ (محمود) .

بدا التوتر والارتباك فى صوتها ..

كما أنه هو أيضًا بدأ التوتـر يسرى إليـه وهو يسأل فـى لهفـة شديدة جمعت بين الخوف والحب ..

ـ أين صديقتك (سلوى) ؟ فمنذ أسبوع ولم أرها فى الكلية ولـم أرها معكِ ..

أهى بخير ، أخبرينى باللّه عليك ..

تمزق قلبها فى هذه اللحظة وهى تجيبه :

ـ هى بخير وسوف تحضر غدًا إلى الكلية .

اختفى التوتر الذى كان محفورًا على ملامحه منذ قليل وشكرها وابتعد ..

وابتعد ..

وابتعد ..

وابتعدت معه كل الأحلام والآمال التى كانت بداخلها .. فهى أدركت لماذا كان لا يشعر بها ؟!

ولماذا أتى إليها اليوم ؟

★ ★ ★

وعـودة إلـى سـيطرة الجنس اللطيـف ، مـع الصديقـة الدائمـة (ولاء الشملول) ، والتى أصبحت معيدة فى أكاديمية أخبـار اليوم للصحافة ، ومع أوراقها الحزينة ، حـول ما واجهــه العالم العربــى مؤخَّرًا ..

وأوراق (ولاء) لا يمكن وصفها ، بل لا بد أن تقرءوها ..

ولأنهـا جيِّـدة ، كـان مـن الطبيعى أن تفـوز بجـائزة أوسـكار (رجل المستحيل) ، فى هذا العدد ..

تهنئاتى يا (ولاء) ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

من أوراق شابة مصرية

ما قبل البداية ..

الزمان : عصر تأخر فيه المسلمون

المكان : مكان تمزقت فيه أشلاء الوطن العربى

هأنذا أكتـب مـن أعصـابى واسـتعار مشـاعرى .. أكتـب مذكـرات شابة مصرية ..

لا أدرى لمـاذا أجد البداية عسيرة .. برغم أن الموضوع الذى أريد

الكتابة فيه متضح المعالم تمامًا فى ذهنى .. ولا أدرى لماذا أجدنى متوترة للغاية برغم أنها ليست المرة الأولى التى أكتب فيها مذكراتى !

ربما لأنها مذكرات غاضبة هذه المرة .. متمردة .. أو لأن الموضوع متشعب وكثير الأبعاد .. لكن لا بد أن أكتب وأن أشترك فى هذه المسابقة التى قرأت عنها فى موقع الأستاذ عمرو خالد .. ويشرفنى أن أفعل .. وأن أكتب من أجل هذا ..

★ ★ ★

البداية :

● كنت أحلم بوطن مثالى « حمقاء أنا أن أفعل ! » ، وطن يلملم جراح اليتيم ، يشد أزر المحروم ، ويدافع عن حقوق الأرملة .. وطن يشجع الأطفال على التساؤل والتفكير ، والإبداع بكل صوره ، ويحمس الشباب على العمل والاجتهاد ، وطن يعطى كل صاحب موهبة مكانه الذى يستحق .. وطن تختفى فيه البغضاء والصراعات الدنيوية التافهة .. وطن متقدم .. يصنع أدواته الأساسية .. يصنع سيارته .. ويزرع قمحه .. وطن ينسج خيوط الأمل فى نفوس الأجيال الجديدة .. وطن يحب الحياة فيعلم أفراده كيف يكون حب الوطن والتفانى فيه .. وطن يعمل فيه رجل الدين بجانب العالم لبناء الأمة ولبناء الإنسان الصحيح والوطن المثالى .. وطن يحارب الكسل والتراخى والسلبية .. وطن يشجع العطاء الإنسانى بكل صوره .. ويكرم أصحاب الفكر والعقل

الرشيد .. ألم أخبركم أننى حمقاء .. أو حماقتى لا تنبع من حلمى هذا .. أبدًا .. لكنها نابعة من الصورة التى تصورتها عليه فى الواقع .. حماقتى نابعة من أنى تصورت أننا نستطيع فعل هذا الآن .. ولأتحدث قليلاً عن الآن هذه .. الآن هنا تعنى : اغتصاب فلسطين .. وتمزقها ، والعالم العربى يبذل كل ما يستطيع فى الارتفاع بصوته وهو يشجب ويدين ويندد حتى بح صوته ! وتعنى أيضًا .. دخول قوات أجنبية العراق .. تغزو وتقتل وتدمر .. وآه يا أمة محمد !!

★ ★ ★

النهاية :

حلمى هذا ليس مستحيلاً .. ولكن المستحيل أن نحققه ونحن نسمح أن تضيع فلسطين وتنتهك حرمة العراق .. المستحيل أن نفعل شيئًا وبداخلنا أطنان من السلبية والتخلف والانهزامية التى تركت ما حدث يحدث ! إن مجتمعًا أهدر حقوق اليتيم والأرملة والمسكين لا يمكن أن يبنى « بحاله هذا » أمة صالحة .. إن مجتمعًا تسوده الرشوة والفساد وانعدام الضمير وتدنى الأخلاق ، لا يمكن أن تحلم به كوطن يحميك ، وطن تشعر بدفئه ، وتطمئن وتتشرف لأنك واحد من أبنائه !

والنتيجة ؟ لا يمكن تحقيق الحلم .. لا بد أن تكون على مستوى المسئولية .. مسئولية الحلم .. لا بد أن نتعب من أجله .. ولا بد أن نكون صالحين مؤمنين أقوياء .. لا بد أن تزرع بحق ، حتى نجنى ثمارًا طيبة صالحة .. ولا تسأل عن حلم ولا عن وطن مثالى .. فى ظل الأوضاع الراهنة .. وما دمنا لا نرى ولا نسمع ولا نتكلم .. فلا يحق لنا أن نحلم .. ولا يحق لنا أن ... أن ماذا ؟ ماذا كانت حماقتى ستدفعنى لأن أكتب ؟! إليكن .. انتهى الدرس يا وطن .. انتهى الدرس يا أمة .. انتهى الدرس يا غثاء .. يا غثاء كالسيل !

شابة مصرية حزينة

★ ★ ★

● « الموهبة الحقيقية لها رائحة .. » ..

عبارة سمعتها ، أو قرأتها ، أو ناقشتها فى أعماقى يومًا .. لست أذكر ..

ولكننى أزعم أننى قد شممت رائحة موهبة فذة ، وفكر جرىء ، وأسلوب جديد جذَّاب ، فى كل الأعمال ، التى أرسلها الصديق (محمد إبراهيم محروس) ..

و(محمد) سبق له أن فاز بأوسكار (رجل المستحيل) ، ولكن أعماله المتميِّزة جدًّا تستحق وقفة بالتأكيد ..

ومن بين ما أرسله ، وما أحتفظ به للمستقبل ، اخترت لكم قصة جريئة جدًّا ..

جريئة فى فكرتها ..

ومضمونها ..

ومعالجتها ..

وحتى نهايتها ..

قصة (دعوة مفتوحة) ..

وعلى الرغم من أن العادة قد جرت على أنه لابد أن يفوز واحد فقط بالجائزة الذهبية ، فى كل عدد ، إلا أننى أرى دومًا أننا نحن نصنع العادات والقواعد ، ولدينا كل الحق فى كسرها ، إذا ما اقتضت مرونة الأمر هذا ..

لذا ، ففى هذا العدد بالذات ، سيتم منح جائزتين ذهبيتين ، وليس واحدة ، وسيحصل الصديق (محمد إبراهيم محروس) على أوسكار رجل المستحيل الذهبية هذه المرة أيضًا ..

تهنئاتى يا (محمد) ، وتمنياتى بدوام التقدُّم والتوفيق بإذن اللَّه .

★ ★ ★



كنت قد استدعيت كل أفتكارى أمامى فى ذاك الوقت .. ورحت أمارس لعبة مجنونة فى فصل ذاكرتى ..

آسفة أقصد فى ترتيب أولويات حياتى .. فأنا من عادتى دائمًا الاهتمام بالتفاصيل .. فهكذا أنا مغرمة بالحكايات .. زميلاتى فى الجامعة يتهمننى ويقلْن إننى فتاة مجنونة .. ولِمَ لا ..

أليس حب الحياة بما فيها الآن جنون ؟

وأنا أحب الحياة .. آسفة لم أعرفكم بنفسى .. أولاً : يجب أن تعلموا أننى لست بهاربة من الواقع فى الحكايات ، ولستُ فتاة نموذجية يحلم بها كل شاب .. بل أنا فتاة كآلاف فتيات اليوم .. متحررة ؟! متحررة على قدر ما ..

ولكنه قدر منضبط ليس فيه هفوات .. وإن كانت لى هفوات فهى قليلة ، وذلك يرجع إلى أننى مغرمة كما قلت لكم بالحكايات .. مدمنة إسراف فى تناول الموضوعات البسيطة .. وتضخيمها .. بعض زميلاتى يَقُلْنَ إننى «نمّامة» هذا رأيهن وهن أحرار فيه .. وأتمنى ألا يكون هذا رأيكم أنتم أيضًا ..

تقولون إننى دوشت رعوسكم بلاداع ، ولم أعرفكم بعد بمشكلتى ..

عذرًا أنا « سهير » أو « سوسو » كما يلقبنى زملائى .. أرتدى « الجينز » ؟ بالطبع لا ...

لم أقصد أننى متحررة لهذا القدر .. فأنا من حى شعبى فقير .. يعيش معظم أهله على حافة الفقر ، وإن كاد أغلبهم أن يقع فى فوهة الفاقة ولايخرج .. بيتى من الداخل مسرح للعرائس يتحرك فيه تسعة إخوة معظمهم فى التعليم ، فقد أصر أبى برغم فقره على تعليمنا . تريدون أن تعرفوا إخوتى .. ليس الآن .. فليس ذلك موضوع قصتى أف ألا تصبرون ؟! تستعجلون النهاية قبل أن أبدأ فى السرد .. كما قلت فى البداية إننى أهتم بالتفاصيل ، فمنذ طفولتى وعيناى متعلقتان بالأحداث من حولى ، وإخوتى الكبار والصغار أرقبهم فى تلذذ ، وأسأل نفسى كيف استطاع أبى أن يحكم هذا العدد من الأبناء ؟

أمى ست بيت من الدرجة الأولى .. هادئة جدًا .. بسيطة جدًا .. عنيفة جدًا ..تجاه أى خطأ مهما كان صغيرًا ، فهى تربط نفسها فى ساقية وتدور فى أنحاء المنزل ترضى هذا ، وتصلح من شأن ذاك .. وتعنف تلك وتضرب هذه ..

وهذه الأخيرة هى أنا بالطبع ، فأنا من المغرمات بالضرب ، أشعر باللذة وأمى تمسك شعرى وتكاد تمسح به بلاط الشقة .. وأنا أكاد أرقص من الفرح كلما ازداد ضربها لى .. من هنا تبدأ القصة ، فأنا أشقى إخوتى كلهم بلا استثناء .. مشاغبة جدًا .. لون شعرى الذى تمسح

بـه أمـى البـلاط .. أسـود كسـواد الليـل .. عينـاى سـوداوان يلتمـع بياضهما بسوادهما فى شكل عجيب ملحوظ ، أنفى دقيق لا يتناسب مـع حجم وجهـى الممتلـئ ، طويلـة إلـى حد لافت للانتباه ولكنـه لا يدعو للنفور ..

عقلـى « مـش » ولا بـد .. برغـم أننـى أظنـه عقـلاً راجحًـا يـزن الأمور جيدًا ويعيد ترتيب الحكايات ..

سنى معظمكم قدره الآن .. وأخيرًا من هواة الضرب ..

جسدى تعود على الضرب وأصبح يتوق دائمًا إلـى يـد تصفعنـى أو تشدنى من شعرى، ومنذ دخلت الجامعة وأمى كفت عن ضربـى ولم أعلم السبب تحديدًا .

ولكنها ربما ظنت أننى كبرتُ على الضرب ، أو ربما أننى دخلت مكانًا مقدسًا يصعب على من يدخله أن يضرب ..

ومن هنا بدأت مشكلتى .. أصبحت أيامى مملة رتيبة لا يشـغلنى فيها إلا محاولة تلفيق .. أقصد وضع نهايات معينة لقصـص الحب فى الجامعـة ، ودائمًا مـا تصـدق نبوءتـى ، أقصـد نهايـات قصصـى الملفقة أقرأ العيون جيدًا ، وأعرف مسبقًا أن هـذا الشـاب يضحـك على تلك الفتاة بأكاذيب الحب ، وأدرك أنها تقنع نفسها بـالعكس .. ولكننى أنشر بعض أكاذيبى مع بعض الزيادات لكـى تكتمـل القصـة كما أريد ، ولذا عرفت « بالنمَّامة » للأسـف ، ولـم أقصـد أن أؤذى أحدًا ..

ولكننى كنت أهرب من نفسى من حاجتى إلى الضرب بتلك الطريقة ، فربما أتت واحدة منهن وضربتنى فأشعر وقتها بالرضا .. وترطب أعصابى .. ولكن ذلك لم يحدث أبدًا.. فكلهم يتحاشوننى ، ويتجنبون ملاقاتى .. معظمهم يرهبنى ويظننى مجنونة .. ولكنهم لم يفهموا أبدًا حاجتى إلى يد تصفع وجهى ..

كثير من الأيام تمر وأنا لا أدرى كيف أستطيع الخلاص من تلك العادة القبيحة، مازلت أهتم بالتفاصيل وأنغص حياة زملائى وزميلاتى بلا داع ..

تريدون النهاية للأسف لا أملكها للآن ..

أنا مشغولة فى هدم قصة حب جديدة نشأت من فورها ..

ربما أفتقد الحب .. لا أظن .. ولكن كل ما أتمناه أن يأتى أحدكم الآن ويصفعنى ويشدنى من شعرى حتى أستطيع أن أفيق من حالتى ، ولا أهتم بالتفاصيل المملة .. فهل أجد لديكم معينًا ؟

هل يستطيع أحدكم أن يضربنى حتى أعود إلى نفسى وأترك ذاكرتى تعمل فى اتجاه آخر ؟ ولا أهتم بالتفاصيل ؟ وهى دعوة مفتوحة للجميع .. دعوة فتاة تحتاج إلى علقة .

★ ★ ★

الأصدقاء :

١ـ سندباد .

٢ـ محمد عيد غنيم الفقى ـ كفر الزيات .

٣ـ أحمد ممدوح بيومى ـ المطرية .

٤ـ وليد محمد رفعت إبراهيم المهندس ـ سوهاج .

٥ـ هند مجدى فؤاد حجازى ـ طنطا .

٦ـ محمود زكريا راغب درويش ـ البدرشين .

أعمالكم وصلت ، وأعاقت نشرها بعض الأسباب الفنية ..

واصلوا الإنتاج ، وحظ أفضل فى كتب قادمة بإذن الله ..

تحياتى ، وتمنياتى ..

حتى نلتقى؟

د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب

باقة من القصص والروايات المصرية
قمـــة فى التــشــويق والإثارة



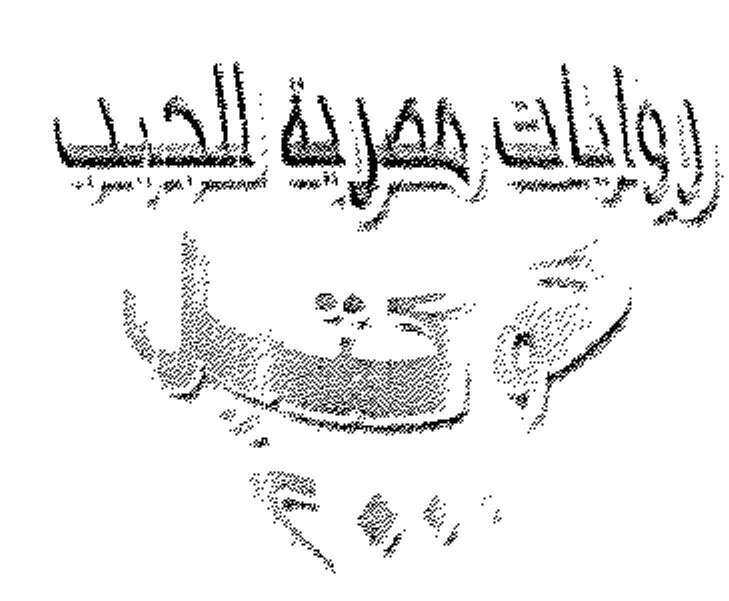
رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء الغامض .
2 - سباق الموت .
3 - قناع الخطر .
4 - مصائد الجواسيس .
5 - الجليد الدامي .
6 - قتال الذئاب .
7 - بريق الماس .
8 - غريم الشيطان .
9 - أنياب الثعبان .
10 - الثأر الملون .
11 - المؤامرة الخفية .
12 - حلفاء الشر .
13 - أرض الأهوال .
14 - عملية مونت كارلو .
15 - إمبراطورية السم .
16 - الخدعة الأخيرة .
17 - انتقام العقرب .
18 - قاهر العمالقة جـ ١ .
19 - أبواب الجحيم جـ ٢ .
20 - ثعلب الثلوج .
21 - مضيق النيران .
22 - أصابع الدمار .
23 - فارس اللؤلؤ .
24 - الضباب القاتل .
25 - الخنجر الفضي .
26 - آخر الجبابرة .
27 - الجوهرة السوداء .
28 - قلب العاصفة .
29 - الصراع الشيطاني .
30 - الرمال المحرقة .
31 - الخطوة الأولى .
32 - خيط اللهب .
33 - القوة (أ) .
34 - مارد الغضب .
35 - قراصنة الجو .
36 - ذئب الأحراش .
37 - مخلب الشيطان .
38 - لعبة المحترفين .
39 - أعماق الخطر .
40 - مهنتي القتل .
41 - الانتحاريون .
42 - الهدف القاتل .
43 - المخاطر .
44 - العين الثالثة .
45 - القضبان الجليدية .
46 - لهيب الثلج .
47 - الرصاصة الذهبية .
48 - شيطان المافيا .
49 - الضربة القاضية .
50 - مهمة خاصة .
51 - سم الكوبرا .
52 - جبال الموت .
53 - ذئاب ودماء .
54 - رحلة الهلاك .
55 - أفعى برشلونة .
56 - الفهد الأبيض .
57 - عملية الأدغال .
58 - إصطدام بطل .
59 - انتقام شبح .
60 - دونا كارولينا .
61 - ملائكة الجحيم .
62 - ملك العصابات .
63 - الجاسوس .
64 - تحت الصفر .
65 - الجليد المشتعل .
66 - ألف وجه .
67 - الجحيم المزدوج .
68 - قلعة الصقور .
69 - أجنحة الانتقام .
70 - أباطرة الشر .
71 - ضد القانون .
72 - شريعة الغاب .
73 - المعتقل الرهيب .
74 - الدائرة الجهنمية .
75 - أسوار الجحيم .
76 - النهر الأسود .
77 - عمالقة مارسيليا .
78 - صحراء الدم جـ ١ .
79 - صفقة الموت جـ ٢ .
80 - وكر الإرهاب جـ ٣ .
81 - الرجل الآخر جـ ١ .
82 - الأخطبوط جـ ٢ .
83 - معركة القمة جـ ٣ .
84 - جزيرة الجحيم .
85 - لمسة الشر .
86 - الثعلب .
87 - خط المواجهة .
88 - سفير الخطر .
89 - قبضة السفاح .
90 - الهدف .
91 - الوجه الخفي .
92 - الخطر .
93 - أرض العدو .
94 - كتيبة الدمار .
95 - الصراع الوحشي .
96 - المعركة الفاصلة .
97 - الصقر الأعمى .
98 - القناص .
99 - مذاق الدم .
100 - الضربة القاصمة .
101 - انقلاب .
102 - نهر الدم .
103 - المحترف .
104 - الإعصار الأحمر .
105 - عقارب الساعة .
106 - الأفعى .
107 - اتحاد القتلة .
108 - الفخ .
109 - قبضة الشر .
110 - اغتيال .
111 - معبد الجريمة .
112 - الفريق الأسود .
113 - رياح الخطر .
114 - ممر الجحيم .
115 - بلا رحمة .
116 - مهرجان الموت .
117 - عمالقة الجبال .
118 - الأربعة الكبار .
119 - فوق القمة .
120 - السنيورا .
121 - وجه الأفعى .
122 - الأصابع الذهبية .
123 - المستحيل .
124 - اللمسة الأخيرة .
125 - عملية النيل .
126 - ساعة الصفر .
127 - نقطة الضعف .
128 - الصحوة .
129 - القراصنة .
130 - محيط الدم .
131 - الحدود .
132 - فريق المستحيل .
133 - نمور الثلوج .
134 - الأبطال .
135 - الأستاذ .
136 - القاهرة الكبرى .
137 - مدينة الذئاب .
138 - الضحايا .
139 - الوحش الآدمي
140 - المواجهة الأخيرة .
141 - رمال ودماء .
142 - رجل وجيش .
143 - الأوراق المكشوفة .
144 - المحترفون .
145 - الورقة الأخيرة .

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٩٦٤٨

الترقيم الدولي : ٣ - ٩٢٩ - ٢٦٦ ٩٧٧

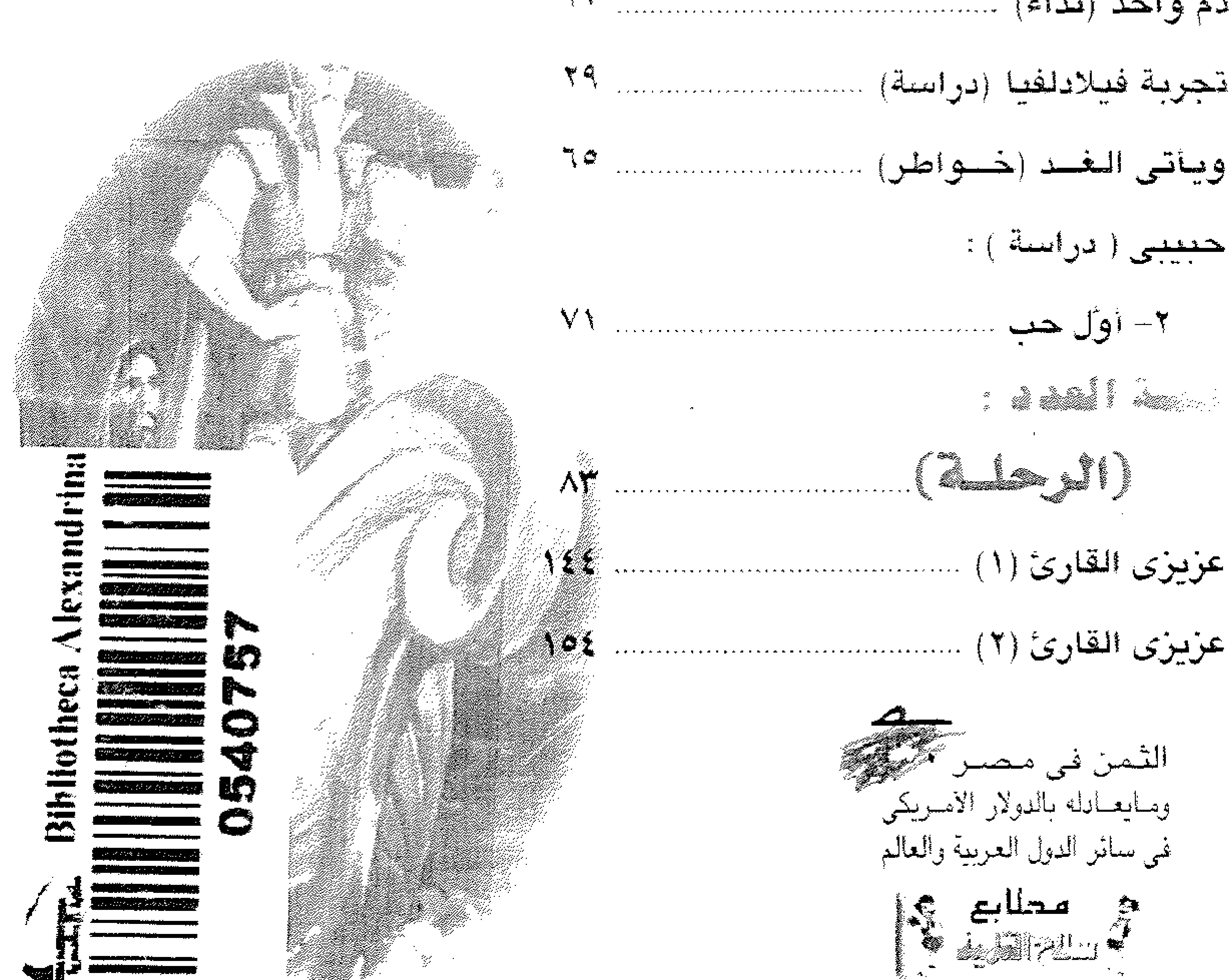


باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

٢٠٠٢/٥/٢٦

فى هذا الكتاب

صفحة



الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع